
روايات عالمية للجيب
27
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
قصة : مايكل شيف وديفيد سبكتور
ترجمة وإعداد :
د. احمد خالد توفيق
مطار ٧٧

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمي ، في مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

مطـــار ٧٧

حرَّك (فيليب ستيفنز) عصا الطائرة (الهليوكوبتر) ، فدارت الطائرة في قوس عبر سماء (فلوريدا) الزرقاء الصافية ..

ومن تحته استحال المحيط الأطلنطي الثائر إلى لسان ضيق من الأرض ، تغطيه النباتات وأشجار النخيل وقناة تشبه شبكة الطرق ..

ابتسم (ستيفنز) .. فهو يستطيع تعرُّف هذا المشهد حتى على هذا الارتفاع .. إنهم يطيرون فوق (بالم بيتّش) .. وأشار إلى مساعده كي يتولى القيادة .. فهزَّ هذا رأسه وأمسك بالعصا ، كي يهبط بالطائرة ..

كان (ستيفنز) راغبًا في الاستمتاع بالمشهد أكثر .. فهو لم يفقد قط اللذة الأولى لرؤيته هذا اللسان الضيق من الأرض في كل مرة يحلق فيها فوقه ..

كان طوله يتجاوز الستة أقدام ، لا ترى في مظهره أثرًا لأعوامه السبعين برغم أن شعره كان رماديًا ، ووجهه ملأته التجاعيد ..

لكن عينيه كانتا أهم ما يجذب الناس إليه .. زرقاوان نفاذتان تتلمسان العالم حولهما فى براءة طفولية ..

فتح سترته الواقية مستشعرًا البرد فى قمرة القيادة .. وشعر أنه يُخلق من جديد .. لقد أمضى آخر أربع وعشرين ساعة فى غرفة مغلقة مع قيادات العمال الغاضبين .. لا هواء ، ثم رائحة التبغ والسيجار ..

نظر إلى ساعته .. لقد كان الأمر يستحق .. فعلى مدى خمسة وثلاثين عامًا صارت مؤسسة (ستيفنز) مؤسسة ناجحة لا تعانى أبدًا من الإضرابات العمالية ..

لقد طار إلى (جاكسونفيل) فى الثالثة لإجراء مفاوضات مع العمال ، قبل أن ينتهى العقد معهم باثنتى عشرة ساعة .. وكانت المفاوضات اختبارًا حقيقيًا فى التحمل ، مارس فيه لعبته القديمة الناجحة دومًا .. أقنع رؤساء اتحاد العمال باتفاق يرضى الطرفين .. ذلك الاتفاق الذى وصلوا إليه على رائحة الدخان والعرق والتوتر .. حمى العطاء والأخذ وتوتر قُرب انتهاء العقد ..

تذكر أيامه الأولى حين بدأ إنشاء مؤسسته .. وفكر :

- « حسن .. لسوف أرحل عن قريب ، لكنى كونت

فريقًا يستطيع القيام بما قمت به .. ويفكرون كما فكرت .. لكن ما دمت حيًا سيعرف الجميع أن دماء الحياة مازالت فى عروقى .. »

وابتسم ..

كان الجميع ينصحه بالتمهل قليلاً .. لكن عليهم أن يعرفوا أنه بالنسبة لحصان حرب عجوز فإن أبواق الحرب تمثل إغراء لا يقاوم ..

بدأت الطائرة تهبط .. وظهرت معالم (بالم بيتش) أكثر ..

راح الطيار ينحدر نحو الجانب الغربى من شبه الجزيرة ، حيث لاحت أملاك (ستيفنز) هناك ..

تنفس (ستيفنز) هواء المحيط فى جشع .. وسالت دموعه حين رأى أملاكه .. لقد عاش فى أماكن كثيرة ، لكن يظل هذا هو المكان الوحيد الذى يسميه (بيتى) ..

لقد تم بناء العقار فى الخمسينات ، وأسماه مالكه (ميليفورا) - أى الألف زهرة - وحاول (ستيفنز) أن يجعل الاسم جديرًا بالمكان .. جنوبًا كانت هناك بحيرة صناعية تم تزويدها بالأسماك .. وشمالاً كان هناك مشتل يحوى نباتات نادرة من أطراف العالم الأربعة ..

لكن (ستيفنز) كان شديد الفخر بالجزء المركزى من المقاطعة .. وكان يُدعى (الدار) .. ارتفاعه أربعة طوابق له شرفات دائرية مزدانة بنباتات متسلقة فبدا كقصة خيالية ..

هبطت الهليوكوبتر أكثر .. ومن تحتها كان هناك مئات العمال يضعون أشياء على شاحنات أو ينقلونها بالأوناش .. وعربات التلفزيون فى كل مكان ، بينما كابلاتها الكهربية السميكة تزحف فى كل صوب .

خلع سترته فقد ازدادت حرارة الجو ..

جاء (هارى جيفرسن) ورجاله .. وكان (هارى) رجل علاقات عامة لا يُقدَّر بثمن ، وقد عمل دهرًا مع (ستيفنز) ..

حاصر الصحفيون (ستيفنز) فور هبوطه من الطائرة ، وراحوا يلتقطون له الصور .. ويتدافعون بالمرافق ..

رفع ذراعيه لأعلى وصاح :

ـ « بحق الجحيم يا أولاد .. لا تضيعوا الأفلام علىَّ .. ادخروها لحفل الليلة .. »

انهمرت الأسئلة .. وكأنها شوشرة من مذياع لم يتم ضبط محطاته بدقة .. لكن (ستيفنز) لم يكن

بحاجة إلى سماع الأسئلة كى يعرف محتواها .. إنها نفس الأسئلة دائمًا منذ أهدى أملاكه فى (فلوريدا) إلى شعب الولايات المتحدة ..

وبروح مرحة راح يحكى خطته .. فهو ـ حين بلغ السبعين ـ شعر بالحماقة لحياته وحيدًا فى مقاطعة ضخمة ، وشعر بأنه مدين للولايات المتحدة التى يمكن فيها ـ فقط ـ لعامل صغير مثله أن يملك أكبر مؤسسات العالم ، عن طريق عرقه لا أكثر ..

لهذا قرر تحويل الدار إلى معرض لمجموعته الثمينة من الفنون .. والأراضى سيحولها إلى حديقة للشعب ..

هنا تدخل (هارى) مقاطعًا الصحفيين :

ـ « فيما بعد يا شباب .. إن أمامنا مائة تفصيلة لا بد من ترتيبها الآن مع مستر (ستيفنز) .. فلو لم يتم حفل الليلة فلن تكون هناك أخبار لكم .. »

ضحك الصحفيون وابتعدوا ..

وابتعد الرجلان بدورهما نحو الدار .. هنا استوقفتهما النباتات المحيطة بالبناية .. تذكر (ستيفنز) أن ابنته (ليزا) نمت كهذه النباتات .. كانت طفلة

وفجأة صارت امرأة حسناء .. وفجأة فتح عينه ليجد أنها تزوجت ..

فى الداخل كان العمال عاكفين على تعليق الأضواء ، وقد تم دهان القاعة بلون أبيض يناسب ما سيعلق فيها من لوحات ..

هنا سمع من يقاطعه :

ـ « هل لى فى بعض الأسئلة ؟ »

كانت هذه (مارسى) .. مذيعة أخبار التلفزيون الشقراء .. كانت تستطيع دائمًا نيل رضاه .. وكانت ذكية بما يكفى كى تحصل لنفسها على مزية من هذا الرضا ..

كانت تريد أن تعرف بعض المعلومات عن الطائرة النفاثة الخاصة بمؤسسة (فيليب ستيفنز) ، التى ستنقل أصدقاءه وشركاءه إلى افتتاح المعرض هذه الليلة ..

هزّ (ستيفنز) رأسه وقال :

ـ « هى مجرد طائرة شركة جديدة ، يستقلها زملائى فى (واشنجتون) قادمين إلى هنا .. لا شىء غير معتاد .. »

كانت تعرف أنه يتهكم .. لذا قالت :

ـ « لا شىء غير معتاد فى طائرة (٧٤٧) كلفتك خمسة وأربعين مليون دولار لشرائها .. ثم خمسة عشر مليونًا لتأثيثها ؟ هلم يا سيدى .. هل تظن أننى محررة حمقاء ؟ »

نظر إلى مدير علاقاته وقال :

ـ « يبدو لى أن هذه الشابة قد أنجزت واجبها المنزلى جيدًا .. »

قالت :

ـ « ظللت أفتش فى شركة (بوينج) حتى وجدت من يحب الثرثرة .. سمعت أن الطائرة قد تم بناؤها بطريقة غريبة .. يقولون إن مقاعد الركاب انتزعت ، ووضعت مكانها موائد وقاعات مؤتمرات .. »

ـ « ليس هذا كل شىء .. الحقى بى فى (بالم بيتش) الليلة ومعك طاقم الأخبار .. سأريك كل ركن بالطائرة .. »

شكرته منبهرة ، وابتعدت ..

قال (جيفرسن) وهو يتأملها :

ـ « فتاة مليئة بالحماس .. »

ـ « لا أشك فى هذا .. »

ثم تذكر شيئًا .. فسأل (جيفرسن) :

ـ « ألم تتصل (إيف كليتون) بعد ؟ »

ـ « نحاول الاتصال بها .. لكنها غير موجودة .. »

ـ « دعنى أعرف حين تنجح فى الاتصال بها .. »

وابتسم ابتسامة حزينة .. فبادله (جيفرسن) ابتسامة دافئة ..

★ ★ ★

أحسّ (كالاهان) بألم فى أسنانه ..

كان يشعر به منذ الظهيرة وهو يقود السيارة .. وراح يتساءل عما إذا كان قد نسى موعده السنوى مع طبيب الأسنان .. فهو لم يكن منظمًا .. لقد أرسل له د. (سلون) يذكره بالموعد ، لكنه لا يدرى هل فعل أم لا ..

قاد سيارته (البلايموث) نحو شارع (أوك) .. إنها الخامسة والمرور يزداد كثافة .. أحس بالذعر ..

هل سينتظرونه لو تأخر ؟

وماذا لو لم يظهروا ؟

زاد من سرعة السيارة ، وتحاشى سيارة (كاديلاك) توقفت أمامه .. وبصعوبة حدق بعينيه فى ضوء الشمس ليتأمل راكبها .. الوغد الثرى ..

ابتعد بسيارته ليتجه إلى الشارع الرابع ، وأشعل لفافة تبغ ، وراح باشمئزاز يرمق الأحياء التى تعج بالزنوج وسكان (بورت ريكو) .. حتى فى صباه لم تكن (رونوك) مدينة .. لكنها الآن مستنقع قذر ..

فكر فى عصبية فى الأسطوانة الصفراء الملقاة فى حقيبة السيارة تلفها البطاطين .. إنها بعيدة عن الأذى .. لكنه لا يعرف محتوياتها ، ولسوف يشعر بالراحة حين يعيدها إلى الرجال الذين استأجروه كى يسرقها لهم ..

فكر فى الثلاثة آلاف دولار التى وعدوه بها ؛ وهو يتوقف أمام بائع جرائد .. ورأى سيارة (فان) بيضاء تقف خلف سيارته ، فوثب قلبه إلى فمه ...

إنهم هم الرجال الذين استأجروه ...

وهنا أدرك أن أسنانه تؤلمه لأنه يضغط عليها منذ ثلاث ساعات ..

★ ★ ★

ـ « برج (دولز) .. هنا (٢ ـ ٣ سييرا) .. نحن على ارتفاع ٣٠٠٠ .. نطلب تعليمات الهبوط .. »

ـ « (روجر) .. (٢ ـ ٣ سييرا) .. استمر فى الدنو .. خال للهبوط .. »

أوقف الطيار (دوين جالاجر) عمل الطيار الأوتوماتيكى ، وبدأ ينحدر لأسفل بعدما أوقف المحركات النفاثة ..

كان يتعامل مع الطائرة (٧٤٧) بسلاسة أكسبته إياها الخبرة .. وراح يراقب معدلات السرعة .. الهبوط ..

كان فى أوائل الأربعينات .. لكن شعره ـ ذا لون الملح والفلفل ـ جعله يبدو للناس أكبر سنًا .. وهو هادئ جدًا مما جعله أجدر الناس كقائد لهذه الطائرة العملاقة ..

استدار إلى مساعده (شامبرز) :

ـ « إنها لك .. »

فهزّ (شامبرز) رأسه وأمسك بمفاتيح التحكم ..

استدار (جالاجر) إلى المهندس (بث ووكر) :

ـ « هل حصلت على معلومات الهبوط ؟ »

ـ « كله معدّ .. والضغط مناسب .. »

كان هذا هو الفحص الأخير وكل شىء على ما يرام .. الطائرة سليمة نظيفة كالصفارة .. لقد وصلت إلى درجة الامتياز .. واجتازت ستة اختبارات عويصة جعلتها بحق أكثر طائرات العالم أمانًا ..

نظر (جالاجر) إلى النافذة الجانبية ليرى شذرات السحب تتكاثر فوق (واشنجتون) .. الرؤية سيئة .. لكنه هبط مرارًا فوق هذا الممر حتى ليفعلها مغمض العينين ..

تناول قائمة المراجعة وراح يتفقد تعليمات الهبوط ، بينما يردّ عليه (شامبرز) أو (ووكر) كل حسب عمله ..

ـ « الضغط ؟ »

ـ « مضبوط .. »

ـ « الارتفاع ؟ »

ـ « تم التأكد منه .. »

ـ « طاقم وحدة الـ (بارو) ؟ »

ـ « أعيد التحقق منه .. »

كان هناك أكثر من مائة مصطلح يجب مراجعتها ، قبل هبوط الـ (٧٤٧) ..

كانت السحب الزغبية تتزايد منذرة بقدوم طقس سيئ لمدة أيام .. وتمنى لو لم يكن (فيليب ستيفنز) قد اختار الليلة لافتتاح متحفه .. وراح يراقب (شامبرز) فى أثناء عملية الهبوط ..

إن من واجبات عمل (جالاجر) مراقبة الطاقم بالإضافة إلى مراقبة الطائرة .. ولم يكن لديه شك فى أن (شامبرز) يعرف حقًا ما يفعل ..

كان (جالاجر) يحب أن يعرف من يعملون معه .. وقد عمل طويلًا مع (ووكر) فوجده مهندسًا ذا ضمير يقظ وروح مرحة .. وهذه الأخيرة مهمة جدًا بالنسبة لطائرة مزدحمة لعدة ساعات .

لكن (شامبرز) كان غامضًا تمامًا بالنسبة لـ (جالاجر) .. كان عملاقًا فى الأربعينات عديم المرح ، قلما يضحك على نكات (ووكر) .. بل هو (يتحملها) فى صبر .. هذه هى الكلمة الدقيقة : (يتحملها) ..

لكن (شامبرز) كان بارعًا فى عمله حقًا ، وهو مديح من العسير أن يصدر عن (جالاجر) ..

لكن (جالاجر) كان يؤمن بأن معرفة الطاقم جيدًا تجعلك تتنبأ بتفاعله مع الأزمات .. ومعنى هذا ـ فى مهنة الطيران ـ هو الفارق بين الحياة والموت .. لقد تقدمت علوم الطيران كثيرًا ، لكن حكم الإنسان هو الذى يصنع الفارق فى حالات الطوارئ ..

هنا كانت عجلات الطائرة قد لمست الأرض ..

★ ★ ★

وقف (بوتشك) جوار الأبواب المفتوحة للحظيرة (ج) يراقب هبوط الطائرة (٧٤٧) ..

وحين بدأت تتحرك للحظيرة أصدر تنهيدة ارتياح .. لقد كان (بوتشك) فى أسوأ حال نفسى ، وكان عصبيًا ، دخن أكثر من نصف علبة تبغ قبل أن يتذكر أنه هجر التدخين أمس ..

إنه معروف بتوتره وولعه المجنون بالإتقان ، وكان هذا هو اليوم الذى سيتوج كل جهوده .. وبعد ثمان ساعات تطير الطائرة إلى (بالم بيتش) لتخرج من يديه أخيرًا ..

لقد كافح كثيرًا لتحويل هذه الطائرة من طائرة مسافرين إلى طائرة للاستعمال الشخصى .. أى أنه كان مسئولًا عن تصميمها من جديد .. وقد فعل ذلك ..

كان يعرف كل شىء عن (البوينج ٧٤٧) منذ إنتاجها .. وكان حجمها الهائل يدهشه .. فهى بارتفاع مبنى من أربعة طوابق .. وطولها كنصف طول ملعب لكرة القدم .. تولد ملايين من الأحصنة ، وطاقة تكفى لإضاءة مدينة صغيرة ليوم كامل ..

كان هناك الكثير مما ينبغى عمله قبل رحلة الطائرة

إلى (بالم بيتش) ، وقبل أن ينتهى هذا اليوم العسير ..

وفكر فى نفسه :

ـ « حسن .. ليكن .. لقد أردت أن أكون مسئولاً عن هذا المشروع اللعين وها قد نلت ما أردت .. »

فى ذلك الوقت كان (جالاجر) يغادر مقعده .. وقال لمن معه :

ـ « الخامسة يا شباب .. »

ووضع حقيبته على كتفه .. رأى (بوتشك) يقف فى الحظيرة متوترًا ، فابتسم .. كان يعرف أنه لا قلق يعدل قلق مشرف المشروع ، حين يصغى إلى تقرير قائد الطائرة عنها ..

ـ « استرخ يا (بوتشك) .. إن طائرتك هى الإتقان ذاته .. »

هنا فقط استرخى كتفا (بوتشك) ، وأطلق تنهيدة ارتياح ..

★ ★ ★

ازدادت سرعة الوصول والمغادرة فى المطار ..

نفس المجموعة التقليدية من السياسيين ورجال الأعمال والسياح ، وقد راحوا يتنقلون بين شبابيك التذاكر والاستعلامات ..

كانت هذه الحقيقة تناسب (جو بانكر) فى مهمته .. فقد كان يرتدى زىّ طيار .. صحيح أنه كان ضيقًا تحت إبطيه ، لكنه كان مقنعًا وجيدًا .. اتجه نحو الباب الذى يقود إلى إحدى الطائرات ..

تأمل الحارس على الباب شارة المرور الزرقاء على سترته ، ثم ابتسم وجعله يمرّ ..

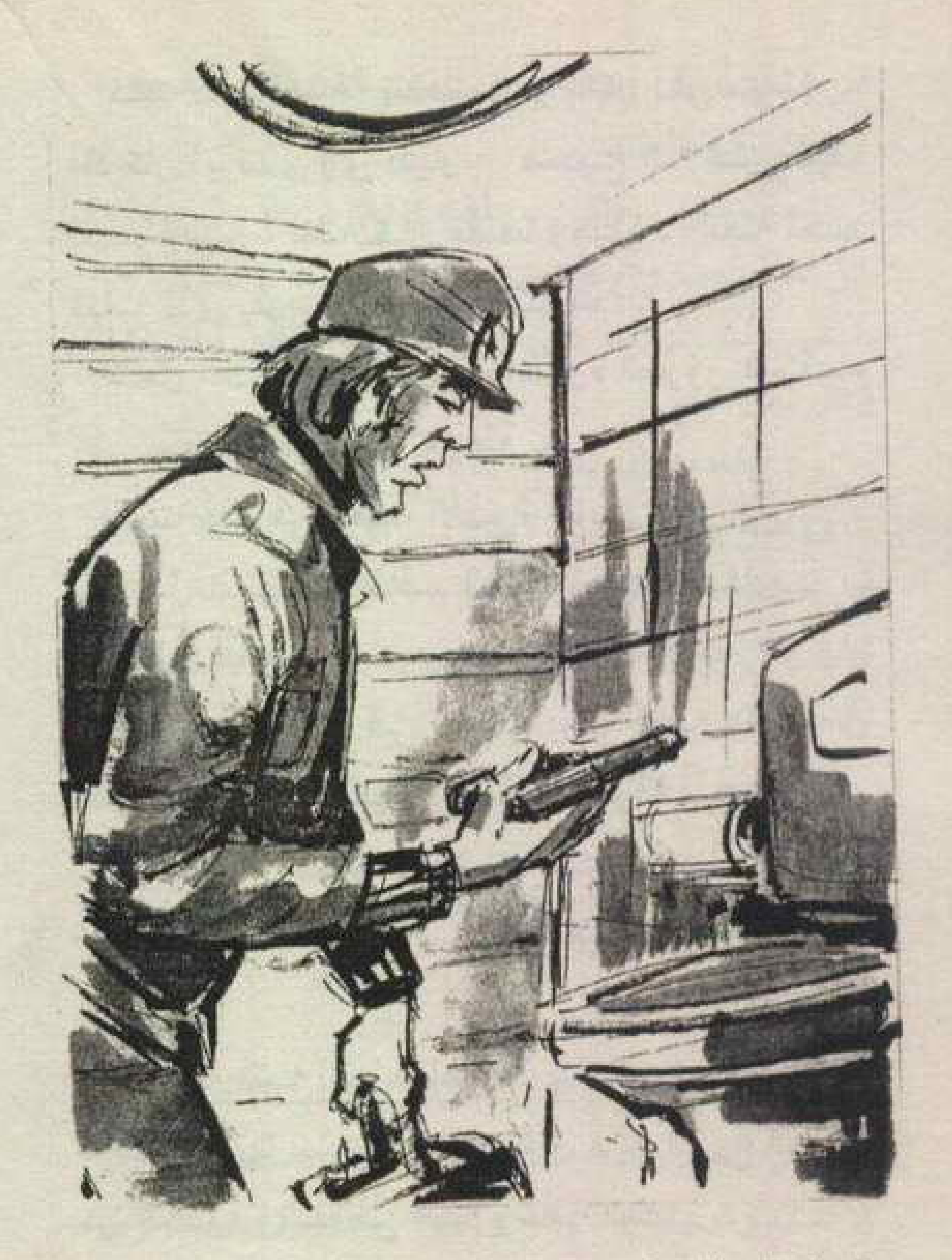
كانت هذه هى العقبة الأخيرة أمام (بانكر) ..

دخل استراحة طاقم الطائرة وكانت خاوية .. وما كان ليقلق لو لم يجدها كذلك .. فزيه هو زىّ أكبر شركة طيران فى العالم ، ولو قابله واحد من نفس الشركة فلن يكون غريبًا ألا يتعرفه .

هناك فتح إحدى الخزانات الجدارية فأخرج منها ثياب رجل صيانة ، واستبدلها بثيابه .. ودخل دورة المياه ..

ثم إنه فتح المرحاض .. بداخله كانت حقيبة بلاستيكية بها مسدس عيار ٠,٣٥ .. انتزع السلاح من الحقيبة ودسه فى جيبه وغادر المكان ..

الآن صار رجل صيانة طائرات عاديًا .. فقط كان



ثم إنه فتح المرحاض .. بداخله كانت حقيبة بلاستيكية بها مسدس عيار ٣٥ و . . .

ينقصه أن يثبت بطاقة التعريف : (مشروع ستيفنز ـ تنظيف الحظيرة ج) ..

★ ★ ★

تكاثر الرجال وعمال الصيانة حول الـ (٧٤٧) فى الحظيرة .. شاحنات الخدمة وعربتان مدرعتان ..

كانت الشاحنات تنقل مجموعة من اللوحات الفنية والتماثيل ، وهى من مجموعة (ستيفنز) الفنية التى ستنقل إلى (بالم بيتش) الليلة ..

أعمال لـ (فان جوخ) .. و (أتريللوس) .. وبعض التأثيريين ..

تساءل (بوتشك) :

ـ « ما الأغلى ثمنًا ؟ الطائرة أم حمولتها ؟ »

كانت هناك كذلك مجموعة هائلة من عبوات (الكافيار) والجبن الفرنسى والخمور النادرة .. وكلها لزوم حفل الليلة ..

نظر إلى بعيد فرأى (إيف كليتون) تعمل جاهدة فى الطرف الآخر من حظيرة الطائرات .. وحتى على هذا البعد فكر : كم هى امرأة جميلة ..

كانت مشغولة جدًا .. فهى تعمل فى المشروع منذ

عام ، واليوم كان هو ذروة جهدها .. كانت تراجع قوائمَ التكاليف والضيوف .. فهى - إلى جانب جمالها - متمكنة جدًا من عملها حتى صارت مديرًا أساسيًا فى شركة (ستيفنز) ..

دق جرس الهاتف ، فرفعت السماعة متضايقة نوعًا لقطع حبل تركيزها ..

كان هذا صوت (ستيفنز) :

- « (إيف) .. كيف حالك ؟ »

- « لطيف أن أسمعك يا (ستيفنز) .. إننا بخير .. وكنت أراقب الحمولة .. »

- « وماذا عن الضيوف ؟ »

- « قبل الجميع الرحلة .. ليس هناك عاقل يرفض رحلة كهذه .. »

ساد الصمت هنيهة ثم سألها :

- « هل تحدثت إلى (ليزا) ؟ »

كادت تقول أى شىء .. ثم وجدت أنه يستحق معرفة الحقيقة :

- « لن تجىء يا (فيليب) .. أنا آسفة .. »

لقد حاولتُ كثيرًا أن تصلح بينه وبين ابنته ، لكن

المحاورة الطويلة لم ترأب صدع العلاقة .. لقد عارض كثيرًا زواج ابنته برغم إرادته . وكان من العسير إقناع (ليزا) بالسفر إلى (بالم بيتش) .. ولقد غضبت (إيف) كثيرًا ، وشعرت أن (ليزا) طفلة مدللة أكثر منها امرأة عاقلة ..

- « لا تتضايق .. فهى ابنتك .. ولسوف تكون هناك مرات أخرى .. »

- « لا تخدعى نفسك .. لن تكون هناك مرات أخرى .. »

أمسكت بالهاتف وعضت شفتها السفلى .. كان هذا سرًا بينهما ، لكنه سرٌ ودّت لو تنساه .. فالحقيقة هى أن (ستيفنز) مصاب بسرطان متقدم ، ولن يطول به الأمر ..

قال لها :

- « حسن .. سأراك هنا الليلة .. شكرًا على كل شىء .. »

وضعت سماعة الهاتف .. كانت قبل المكالمة تشعر بالحماسة والحيوية أما الآن فقد غمرها الحزن .. انحنت على المنضدة ، وراحت تفرك براحتيها عينيها ..

★ ★ ★

مشى (بانكر) نحو الحظيرة مشيةً مسترخية سهلة .. إن زىّ رجل الصيانة يناسب جدًا ، وهو رجل يهتم كثيرًا بالتفاصيل الصغيرة كهذه ..

خارج الحظيرة كان الطيار المساعد (شامبرز) ينتظره فى عصبية بالغة .. ابتسم (بانكر) .. فهو كان يعتبر نفسه محترفًا من الذين يزدادون هدوءًا وثقةً كلما دنوا من العملية ..

لقد كان من حظهم أن يظفروا بـ (شامبرز) .. فالرجل قد ذهب كثيرًا إلى (لاس فيجاس) حيث تراكمت عليه ديون القمار ، وهنا ظهر (بانكر) ورفاقه ليدفعوا ديون (شامبرز) .. كانوا بحاجة إلى مساعد طيار يكون تحت سيطرتهم ..

قال (بانكر) للرجل الذى غمر العرق وجهه :

- « اهدأ .. سيكون كل شىء سهلاً .. »

- « لقد حصلنا على الشحنة هذا الصباح .. »

ابتسم (بانكر) فى ثقة ، وفارقه متجهًا نحو الحظيرة ..

لم يجد عسرًا فى الدخول .. فاتجه إلى الطائرة (٧٤٧) .. فتسلق إلى مخزن البضائع .. وكان (ويلسون) ينتظره فى المطبخ ..

كان (ويلسون) رجلاً بادنًا يرتدى زىّ رجال الصيانة .. اتجه معه إلى الاستراحة حيث الظلام والهدوء ..

اتجها إلى ممر مظلم بعد ما أضاءا كشافًا .. وكان هذا الممر يقود إلى مؤخرة الطائرة .. أخرج سلمًا صغيرًا فتسلقه .. وانتزع قطعةً من السقف ..

هذا جزء من الطائرة لا يراه المسافرون أبدًا ، لكنه مهم للصيانة ..

على ضوء الكشاف راح يتتبع خراطيم الهواء التى تؤمن تكييف هواء الطائرة .. ثقب جزءًا من الخرطوم ، ثم أدخل عبره سلكًا من النحاس ، فصارت هناك حافظة نحاسية تتصل بخرطوم الهواء ..

ثم انتزع من حقيبته أسطوانة صفراء صغيرة كتب عليها (غاز سى - آر - ٧ خاص باستعمال الجيش فقط) ، فقام بتثبيتها بالحافظة ..

الآن يمكن للأسطوانة أن تفرغ محتواها فى خراطيم الهواء مباشرة ..

وابتسم (بانكر) ..

إن العملية ـ حتى هذه اللحظة ـ تتم بأدق وأسهل ما يمكن ..

★ ★ ★

فى السابعة مساءً كانت كل ترتيبات الرحلة قد أعدت ..

وصل الضيوف ، ولدهشتهم وجدوا أن بساطًا أحمر قد فرش من موضع السيارات إلى الطائرة .. ووقف (جالاجر) يحيى الضيوف الذين ينيف عددهم على العشرين ..

ثم دخل إلى قمرة القيادة وأدار جهاز اللاسلكى ..

ـ « خدمة الطيران .. هنا ٢ ـ ٣ سييرا .. أريد معلومات عن الطقس .. »

صدر صوت أزيز إستاتيكى .. ثم جاءت الإجابة :

ـ « هناك عاصفة تبدأ فى الخليج .. عليك الالتزام بالجدول الزمنى بدقة يا كابتن .. »

ـ « (روجر) .. »

وأغلق الجهاز .. لا شك فى احتمال سقوط أمطار .. إن ليلة عسيرة تنتظره ..

★ ★ ★

فى داخل حافلة المطار ذات اللونين الأزرق والأبيض ، جلست (جين ستيرن) تمسك بحزم يد ابنتها (بونى) ذات الثمانى السنوات ..

هتفت الطفلة فى حماسة كديدن الأطفال :

ـ « أهذه هى الطائرة يا ماما ؟ »

هزت رأسها فى عصبية .. فالصغيرة لم تركب طائرة قط وتجن شوقًا للرحلة .. كانت (بونى) قد ربحت هذه الرحلة كمرشحة مدرستها المتفوقة .. وبالتالى ظفرت بهذا المقعد الذى أهداه (فيليب ستيفنز) .. وكان الأب مشغولاً فاضطرت الأم لاصطحاب (بونى) ..

وشعرت الأم بأنها تفقد شجاعتها .. فالحقيقة هى أنها لم تركب طائرة فى حياتها ..

وثب قلبها إلى فمها حين رأت الطائرة .. فالشىء كان عملاقًا .. قالت لنفسها إن الطائرة بالتأكيد متينة كالصخر .. ثم تذكرت أن الصخور تسقط فى الماء أكثر من أى شىء آخر ..

هنا دنت (إيف) منها ورحبت بها وبالطفلة .. ثم سألتها بعين خبيرة :

ـ « أول طيران لك .. أليس كذلك ؟ »

هزت الأم رأسها أن بلى .. فهمست فى أذنها :

ـ « فى أول مرة طرت فيها شعرت مثلك تمامًا .. ثم وجدت أن الأمر ممتع حقًا .. »

كان هذا أفضل ما يقال لـ (جين) .. وبدأت تشعر أن الأمور ـ بشكل ما ـ لم تعد مفزعة كما كانت ..

ما إن انتهت (إيف) من استقبال الأم المذعورة ، حتى رأت سيارة (رولزرويس) تصل ، يقودها سائق خاص ..

توقفت السيارة وانفتح بابها الخلفى ، فكاد يصدم السائق حين حاول أن يفتح الباب .. وعلى الفور عرفت (إيف) القادم ..

ـ « هذه (إميلى ويليامز) .. هكذا يكون الجميع قد جاء .. »

كل الأسماء موجودة عدا (ليزا) ابنة (ستيفنز) ..

خرجت (إميلى) واثبة من السيارة ، وهرعت نحو (إيف) .. إنها امرأة قصيرة القامة فى الستينات من عمرها .. ملأى بالحيوية والنشاط .. يبدو من وجهها أنها كانت جميلة جمالاً كلاسيكيًا فى شبابها ، وهو

ما يبرر ما قيل عن حكاياتها العاطفية مع (بيكاسو) و(همنجواى) ..

ـ « أنت تبدين رائعة يا مسز (ليفنجستون) .. أين (دوروثى) ؟ »

هنا ظهرت (دوروثى) .. كانت امرأة جذابة فى الخمسين من عمرها ، تحمل معطفًا من الفراء ، ومن المعتاد ألا تفارق (إميلى) لأنها ظلت سكرتيرتها أعوامًا طويلة ، وفى النهاية غدت صديقتها الصدوق وكاتمة أسرارها ..

كانت تهرع نحو (إميلى) بمعطف الفراء كى تلفه حول عنقها ، فقالت هذه الأخيرة :

ـ « (دوروثى) ! بحق السماء .. نحن ذاهبتان إلى (بالم بيتش) لا (سيبيريا) .. »

ودخلت إلى الطائرة ..

كانت طيلة حياتها فى زبدة الثراء فى المجتمع .. ولم تكن الرفاهية لتبهرها .. كذا راقبت (إيف) رد فعلها فى اهتمام ..

فما إن دخلت العجوز الطائرة حتى تدلى فكها ذهولاً ، وهتفت :

- « إنها رائعة ! تخطف الأنفاس ! »

كانت عبارة (خطف الأنفاس) تصف الموقف بدقة .. لقد أزيلت مقاعد الطائرة كلها .. وتناثرت أرائك مريحة فى مجموعات لطيفة ، جعلت المكان أقرب إلى استراحة فندق فاخر ..

وتحسست (إميلى) إحدى الأرائك ، وأدركت على الفور أنها من تصميم (جوتشى) .. مصنوعة من أفخر أنواع الجلد الإيطالى ، ولا بد أنها كلفت ثروة طائلة ..

وفى ركن القاعة كان هناك جهاز تلفزيون تحتل شاشته جدارًا كاملاً ، كما كان هناك بيانو يجلس إليه عازف ضرير يعزف ألحانًا متنوعة ..

كما كانت هناك منضدة يجلس إليها عدد من نجوم المجتمع يلعبون الورق ، وسرعان ما لحقت بهم (إميلى) ..

★ ★ ★

وضعت (إيف) سماعة جهاز (الإنتركوم) ..

كانت قد سألت (جالاجر) تأخير الإقلاع قليلاً ، لكنه قال إن هذا مستحيل .. فالجو يسوء باستمرار عبر الأطلنطى ..

كانت تفهم موقفه ، لكنها تمنت لو تلحق بهم (ليزا) ..

إنه أمل أحمق .. لكن وجود (ليزا) يعنى الكثير لـ (ستيفنز) هذه الليلة ..

هنا جاءت (جولى) سكرتيرة (إيف) بعينين لامعتين ، وهمست فى أذنها بحماسة جعلت الهمس أدنى إلى الصراخ :

- « هما هنا ! »

- « من هما ؟ »

- « (ليزا) ! (ليزا) و (بنجى) ! »

هنا ارتفعت معنويات (إيف) .. إنها معجزة ..

هرعت إلى الباب لتستقبل (ليزا) فى أثناء خروجها من حافلة المطار ، ومعها (بنجى) طفلها ذو الثمانى السنوات ..

رحبت بهما فى حرارة .. واستدارت لترمق (ليزا) ..

كانت (ليزا) فتاة حسناء تبدو أصغر من ستة وعشرين عامًا .. فى ملامحها استقلال وقوة .. ولاحظت (إيف) أنها ترتدى ثيابًا بسيطة بالنسبة لرحلة كهذه ..

هتفت (إيف) :

ـ « ما ظننتك قادمة .. »

ـ « ولا أنا ! »

وكانت السخرية واضحة فى صوتها .. وعرفت (إيف) أن الضغائن القديمة مازالت هناك .. سيكون عليها أن تحدثها قليلاً فى أثناء الرحلة ..

ـ « أنت مثل أبيك بالضبط .. عنيدة كالجحيم ! »

واقتادتها إلى الاستراحة .. فما إن رأتها (ليزا) حتى هتفت :

ـ « ربما نختلف حول أبى .. لكننا متفقتان على أنه يفعل كل شىء كما ينبغى أن يكون .. »

★ ★ ★

راحت إشارات (اربطوا الأحزمة) تتألق ..

واستعد الطاقم للإقلاع .. وراح المضيفون يجولون فى أرجاء الاستراحة يجمعون الأشياء الزجاجية ، ويرشدون القوم إلى كيفية ربط الأحزمة .. وقام الساقى بربط زجاجاته بشريط مطاطى خاص ، قبل أن يتوجه إلى مقاعد الطاقم ..

كان على البار شخصان هما (كارين والاس) وزوجها (مارك والاس) وهو رجل فى الخمسين من عمره ،

وجوارهما رجل ضخم فى الثلاثين من عمره يدعى (باورز) ، وله مظهر الرياضيين أكثر من العلماء .. وبرغم هذا كان من الحجج فى علم المحيطات ..

ثم ظهر (بوتشك) .. كان قلقًا كطفل تلقى هدية العيد ، ومازال يصرّ على الاستيقاظ من حين لآخر ؛ ليتأكد من أنها هناك ..

وكان يرتدى حلة أنيقة .. لكنه ـ ككل من لم يعتادوا ارتداء البذلة ـ كانت فكرته عن الأناقة هى أن يجعل نفسه غير مستريح قدر الإمكان ؛ لهذا ربط رباط العنق بإحكام كمشنقة ..

مدت (إيف) يدها ببساطة وفكت رباط عنقه قليلاً ..

ثم جاءت مضيفة حاملة شريط (فيديو) ، ودسته فى جهاز العرض ، وعلى الفور ظهر وجه (فيليب) على الشاشة :

ـ « مرحبًا .. أنا مسرور لوجودكم معنا فى هذا الطيران الافتتاحى .. أتمنى أن أكون معكم لكنى ـ كما تعرفون ـ فى (بالم بيتش) أستعد لحفل الليلة ولاستقبالكم .. »

وهنا جاء صوت الربان يخبرهم أن الإقلاع قد بدأ ..

★ ★ ★

مرّ عليهم فى الجو ما يزيد على نصف الساعة ..

وكان (ستيف بوروز) جالسًا أمام البيانو مستمرًا فى العزف ، لكنه تعرّف بعض الأصوات .. وكعادة المكفوفين منذ ولادتهم كان قادرًا على تمييز كل الموجودين من حوله ، بل إنه كان قادرًا على أن يعزف ويصغى فى الآن ذاته ..

شمّ رائحةَ العطر مرتين وعرف أن تلك الفتاة صاحبة العطر قد عادت مرتين لتصغى لعزفه .. ابتسم .. واستشعر قوة كاسحةً فى حضورها جعلته يدرك أنها تصغى باهتمام ..

لذا راح فى حماس يعزف لها ولها وحدها ..

قال لها بصوت مسموع :

ـ « لا بد أنك تحبين الموسيقا .. »

أجفلت (جولى) سكرتيرة (إيف) حين سمعت هذا .. لم يجل بخاطرها أن عازف البيانو أحس بها ..

ـ « إننى ممتن لك .. ثالث مرة تأتين لى يا (جولى) .. »

ـ « كيف عرفت أنه أنا ؟ »

ضحك (ستيف) وقال :

ـ « سرّ المهنة .. لقد عرفت رائحة عطرك .. »

ضحكت وقالت :

ـ « ليس الأمر هكذا .. فلست الوحيدة التى تستعمل العطر ذاته .. »

ـ « ربما .. لكنك الوحيدة التى أهتم بأمرها .. »

وأدرك أن كلماته حقيقيةٌ .. لكنه تمنى ألا يكون قد تجاوز حدوده ، فهو يعرف مدى خجلها .. وهو يشعر الآن باحمرار وجهها بعد ما قال ..

قالت :

ـ « الواقع أننى .. أشعر بالشىء ذاته .. »

هنا كف عن العزف للحفل ، وراح يعزف لشخص واحد فقط ..

★ ★ ★

انتزع (جالاجر) السماعتين عن أذنيه ، وناولهما لـ (إيف) التى قالت فى حماسة لـ (ستيفنز) :

ـ « يا (فيليب) .. إن (ليزا) قد جاءت ! »

سمعت صوت شهقة .. وبعد صمت هتف :

ـ « إن هذا مذهل يا (إيف) .. لا أدرى كيف فعلتها لكنى أشكرك ! »



هنا كف عن العزف للحفل ، وراح يعزف لشخص واحد فقط ..

- « وهذا هو أفضل ما فى الموضوع ، لست فى حاجة إلى شكرى .. لقد جاءت بنفسها .. »

انفجر يزجى لها عبارات الشكر ثم وضع سماعة الهاتف ..

★ ★ ★

خارج الطائرة كانت السماء بحرًا من السلام .. لكنها كانت تحلق فوق الرياح والسحب والأمطار العاتية .. فعلى ارتفاع أربعين ألف قدم يغدو الهدوء مطلقًا بعيدًا عن كل عوامل الجو ..

وفى قمرة الطيران كان الطاقم يعمل فى جدّ .. ولاحظ (ووكر) أن هناك صمامًا أمامه يعطى قراءة خاطئة ، فنادى (جالاجر) :

- « كابتن .. هلا نظرت إلى هذا ؟ »

استدار (جالاجر) فى مقعده وتأمل الأرقام .. ثم غمغم :

- « قراءة منخفضة جدًّا .. ماذا عن الضغط ؟ »

- « ثابت تمامًا .. »

- « لابد أن المشكلة فى الاستشعار نفسه .. على كل سأطلب من (بوتشك) أن يتحقق من هذا .. »

وتناول سماعة (الإنتركوم) ..

★ ★ ★

كان (بوتشك) فى البار يتحدث مع (إيف) حين سمع الرنين ..

رفع السماعة إلى أذنه وراح يتكلم مع الكابتن .. وحاولت (إيف) أن تتابع المحادثة لكنها كانت ملأى بالمصطلحات الفنية إلى حدّ أنها لم تعد تفهم حرفًا ..

ثم إنه وضع السماعة ، ونهض ليتفقد الأمر .. إن وحدة الاستشعار هذه غير ذات بال على كل حال .. لكنه هبط إلى قاع الطائرة ..

دخل مخازن الشحن ومعه (هنتر) رجل الأمن ليبحث عن جهاز الاستشعار الموضوع داخل الجدار .. ومن سترته الرسمية أخرج مفكًا صغيرًا وراح يحلّ الصفيحة الرمادية التى تغطى الجهاز ..

وكان (هنتر) واقفًا بجواره على سبيل كسر الملل .. بالإضافة إلى قواعد الأمن التى تحتم تواجده مع أى شخص يدخل مخزن الشحن .. وكان يشعر أنه من الصعب أن يحدث شىء لهذه الطائرة ، ومعنى هذا ساعات طويلة مملة فى قاع الطائرة وحده .. لذا كان

شىء تافه كإصلاح جهاز استشعار يبدو له شيئًا مسليًا إلى حدّ لابأس به ..

كان – قبل أن يصير رجل أمن – يعمل شرطيًا .. لذا اكتسب تلك الحاسة التى تجعله يعرف أن شخصًا ما يقف وراءه ..

وحين نظر للوراء رأى (بنجى) بن (ليزا) يقف .. كاد يشير له بالابتعاد لكن وجه (بوتشيك) تهلل وقال :

– « هذا على ما يرام .. تعال يا(بنجى) .. كيف حالك ؟ »

ثم إنه قال لـ (هنتر) :

– « والآن أغلق الباب لنتأكد من سلامة الصمام .. »

أغلق الرجل الباب الثقيل .. هنا تزايد ضغط الهواء فجأة ، واستدار الصغير يسأل (بوتشك) :

– « ما كان هذا ؟ لقد أوشكت أذناى على الانفجار .. »

– « هذا ضغط الهواء .. إن كل خانة فى المخزن محكمة الهواء .. »

وحاول أن يشرح للصغير تصميم خانات الشحن هنا .. إن الـ (٧٤٧) متقدمة جدًا ، تسمح بعزل كل عينة على

حدة فى ظروف ضغط ورطوبة مختلفة .. إن طريقة حفظ مومياء فرعونية تختلف حتمًا عن طريقة حفظ لوحة لـ (رمبرانت) ..

ثم استدار (بوتشك) والتقط سماعة (الإنتركوم) طالبًا (جالاجر) :

ـ « كنت محقًا يا كابتن .. كان جهاز الاستشعار معطلاً .. كيف القراءة الآن ؟ »

أخبره هذا بأنها على ما يرام ..

فى نفس الوقت كان (بنجى) يسأل (هنتر) رجل الأمن :

ـ « هل أنت شرطى حقيقى ؟ »

ـ « نوع منهم .. »

ـ « .. وقبضت على (لصوص) كثيرين ؟ »

ـ « قليل منهم .. يمكن أن تعود لأخبرك بقصص مثيرة .. »

انفتح الباب وخرج الثلاثة إلى الممر .. وفى سره تمنى (هنتر) لو عاد (بنجى) ليزوره .. عندها سيحكى له ذكريات شبابه كلها ..

★ ★ ★

إنها الثامنة وخمس وأربعون دقيقة ..

نظر (شامبرز) مساعد الطيار إلى ساعته .. وكانت درجة الحرارة منظمة داخل القمرة لكنه شعر بأنه بارد كالثلج .. قلبه يخفق كالطبل ..

ـ « حان الوقت كى أفرد ساقىَ يا (كابتن) .. »

ـ « بالتأكيد .. »

قالها الكابتن وهو ينظر إلى اللوحة أمامه ..

خرج (شامبرز) إلى الخارج ، ومن بعيد سمع أصوات الحفل .. ورأى (باتكر) قادمًا .. وتساءل فى سره : كيف يظل هذا الرجل هادئًا ؟

سأله (باتكر) :

ـ « حاول أن تبدو طبيعيًا .. هل جئت بالمفاتيح ؟ »

ناوله (شامبرز) ثلاثة مفاتيح ، وقال له :

ـ « أمامك عشر دقائق .. المهم أن تخرج (جالاجر) من قمرة القيادة .. »

ومدَ إصبعًا غليظًا ليغرسه فى صدر (شامبرز) :

ـ « تأكد من القيام بهذا .. »

وأدرك (شامبرز) من لهجة الرجل ما يخفيه من جزاء للفاشلين ..

وافترقا .. فعاد (شامبرز) إلى قمرة القيادة ، خائفا لكنه مصمم على الاستمرار ..

★ ★ ★

جلس (هنتر) الحارس فى مقاعد الطاقم يلتهم العشاء فى صينية أرسلها له المطبخ .. كان طعامًا فرنسيًا لكنه شهى المذاق ، وكاد يطلب المزيد من هناك حين هوى شىء ثقيل على صدغه فأحس بشىء ينفجر ..

وسقط على الأرض فاقد الوعى ..

أعاد (بانكر) القبضة النحاسية إلى جيبه ، وألصق البلاستر على فم العجوز ، وكان (ويلسون) فى هذه اللحظة قد دخل .. ولاحظ الزاوية العجيبة التى كان عليها عنق الحارس فتحسس نبضه ، وقال :

ـ « انتزع هذا البلاستر .. لقد ضربته أقوى من اللازم .. »

هزَ (بانكر) رأسه دون مبالاة ، وتعاون مع (ويلسون) على إخفاء الجثة ..

هنا سمعا أصواتا دانية .. سارعا بجرَ الجسد وراء بعض الحقائب .. وهرع (ويلسون) إلى الباب ليعترض القادم ..

كان الطفلان (بنجى) و(بونى) قد جاءا يبحثان عن مستر (هنتر) .. لقد كان الأخير هو اكتشاف (بنجى) الثمين ..

هنا اعترض (ويلسون) طريقهما :

ـ « ليس مفروضًا أن تكونا هنا أيها الطفلان .. »

ـ « أين مستر (هنتر) ؟ »

ـ « قلت إن عليكما الرحيل .. »

وفى مكمنه جوار الجثة ، تحسس (بانكر) القبضة النحاسية .. لن يسمح للخطة بأن يفسدها غلام فضولى ..

هنا دوى صوت مسز (ستيرن) :

ـ « (بنجى) .. (بونى) .. ماذا تعملان هنا ؟ »

ودخلت المكان ، ولم تلحظ الشحوب الذى غمر وجه (ويلسون) .. قالت :

ـ « أتعشم ألا يكونا أحدثا متاعب .. »

ـ « لا متاعب يا سيدتى .. »

واقتادت الصبيين خارجة .. فتنفس (ويلسون) الصعداء ..

ما إن خرجت حتى انسلَ الرجلان إلى مؤخرة

الطائرة .. أسرع (ويلسون) إلى المخزن حيث أخفى أسطوانة الغاز ، أما (بانكر) ففتح غرفة النوم الموجودة بالطائرة ..

تناول سماعة (الإنتركوم) وطلب (جالاجر) فى قمرة القيادة ..

- « كابتن .. هنا مضيف الليل .. أرى أن تلحق بى فى غرفة النوم .. »

- « ما المشكلة ؟ »

- « أحد المسافرين أصيب بوعكة يا سيدى .. »

ووضع سماعة الجهاز ، وأخرج القبضة النحاسية وجلس على الفراش ينتظر ..

★ ★ ★

فى قمرة القيادة واصل (شامبرز) الطيران ، ونظر إلى ساعته بعصبية .. لقد تم توقيت كل شىء بدقة تامة .. قام بنقل قيادة الطائرة إلى الطيار الأوتوماتيكى ، ثم مدّ يده فى حقيبته وأخرج مسدسًا أوتوماتيكيًا عيار ٠,٤٥ ، وبهدوء ودون انفعال اتجه إلى (ووكر) .. رفع هذا الأخير رأسه فى اللحظة التى هوى المسدس الثقيل عليها ..

تدحرج جسده فوق المقعد إلى الأرض ..

وفى عصبية مدّ (شامبرز) يده ليغلق اتصال اللاسلكى تمامًا ..

★ ★ ★

نظر (ويلسون) إلى ساعته حتى جاءت اللحظة ..

التقط قناع الغاز وثبته على وجهه ، ثم مدّ يده إلى أسطوانة الغاز الصفراء وفتحها ..

دوّى صوت الهسيس إذ بدأ الغاز يتسرب إلى أنابيب التهوية ..

★ ★ ★

استوثق (بانكر) من حسن تثبيت قناع الغاز على وجهه ، وسمع صوت الخطوات تدنو ، فتوتّرت عضلاته .. كان هذا (جالاجر) يفتح الباب ..

فما إن صار الكابتن داخل الحجرة حتى وجه له (بانكر) ضربة عنيفة ، فتهاوى على الأرض .. حاول أن يقبض على معصم (بانكر) ، وكانت قبضته قوية حقًا لكن (بانكر) استعمل ذراعه الحرّة ليوجه ضربة سيف إلى عنق (جالاجر) .. فسقط هذا فاقد الوعى ..

لقد تم إنجاز الجزء الثانى من الخطة ..

★ ★ ★

وتسرب الغاز إلى الاستراحة عبر شبكات تكييف الهواء ، فلم يسمع أحد صوت الهسيس بسبب الضوضاء ..

وكان أول المتأثرين هو (ستيف) عازف البيانو الكفيف .. سقط على البيانو فجأة .. وصرخت امرأة .. ثم بدأ الجميع يشعرون بما يحدث .. الكل يحارب من أجل الهواء .. صراخ .. أجساد تسقط ..

وسمع (بوتشك) الصراخ .. هرع إلى الاستراحة ليرى المشهد الرهيب .. حاول أن يفهم ما يحدث .. ماذا يحدث بحق الجحيم ..

لكن الضباب كان يغلف أفكاره .. وأدرك أنه سقط على ركبتيه .. وسمع من يقول : (ماذا يحدث ؟ أنقذونا !) ..

كان يعرف أن كل شيء يحدث لحظيًا ، لكن عقله جعله يرى كل شيء بالسرعة البطيئة .. (جولى) تسقط أمامه محاولة التشبث بالبيانو .. ثم تسقط كأنما تستغرق أبدًا كاملاً ..

كانت معركة الحفاظ على وعيه معركة خاسرة .. كان يردد لنفسه مرارًا : يجب أن تذهب لقمرة القيادة ..

لكن وجهه كان يسقط ليلمس الأرض بينما هو يردد ذلك ..

ثم ساد الظلام ..

★ ★ ★

على ضوء البطارية راح (ويلسون) يتفحص ساعته ..

أغلق صمام الغاز فانتهى الهسيس .. ثم غادر مخزن البضاعة .. وفى الوقت ذاته كان (بانكر) يعبر الاستراحة حين لاقى (ويلسون) .. كان الأخير يرمق سوارًا ثمينًا تتدلى منه قطعة ماس حول معصم (إميلى) فاقدة الوعى ..

كاد ينتزعها حين سمع صوت (بانكر) يقول :

ـ « انس هذا ! »

ـ « لكن لابد أنها تساوى خمسين ألفًا .. »

ـ « إنها طعام دجاج .. عُدْ لعملك وكف عن إضاعة الوقت .. »

ثم اتجه (بانكر) إلى قمرة القيادة ليلحق بـ(شامبرز) ..

استدار مساعد الطيار ليرى (بانكر) خلفه ..

وكان من الواضح أنه ـ المساعد ـ يتحاشى النظر إلى قدميه حيث جسد (ووكر) الملطخ بالدماء .. ابتسم (بانكر) .. فهو يحب رؤية سرعة تأثر الآخرين ..

كان (شامبرز) يمسك بمسطرة الملاحة ليرسم اتجاهًا جديدًا للطائرة يبعد مئات الأميال عن مسارها الأصلى ..

ونقل تحكم الطائرة من الطيار الأوتوماتيكى إليه ..

★ ★ ★

مهمة المراقبة الجوية عسيرة حقًا فى الطيران الحديث ..

إن مهمتها الأساسية هى مراقبة خطوط الملاحة .. فقد صارت السماء مزدحمة ربما كالطرق تحتها ، وصار منع تصادم الطائرات صعبًا ، وهى مهمة تحتاج إلى الاتصال والرادار والحاسب الآلى ..

وكانت وحدة المراقبة الجوية تتبع (هيئة الطيران الاتحادية) ومقرها (جاكسونفيل) ..

ويعمل بها عدد من الرجال المخلصين الذين يقضون ساعات طويلة أمام شاشات الرادار فى غرف مظلمة ..

لهذا حين اختفت النقط التى تمثل الطائرة (٧٤٧) ، ساد جو من الخوف .. الخوف البرى مما عساه قد حدث ..

زادوا تكبير القطاع لكنهم لم يروا شيئًا ..

ـ « (جيرى) .. انظر ! لقد فقدت (٢ـ ٣ سييرا) .. »

انحنى (جيرى) وتأمل الشاشة ..

ـ « أريد قراءة عن (٢ـ٣ سييرا) .. آخر ارتفاع هو N1500.0 وخط الطول W8075.0 .. »

وضغط على زرّ النور الأزرق الذى يخبر الآخرين بوجود مشكلة ، ونظر إلى المفاتيح .. إن اختفاء أثر طائرة على الرادار لا يعنى سوى شىء واحد ..

ـ « رباه ! أعتقد أن لدينا طائرة هاوية ! »

★ ★ ★

الآن تطير الـ (٧٤٧) على ارتفاع بضع مئات الأقدام فوق المحيط ، ونفاثاتها تجعل الماء يغلى ويمور تحتها ..

كان (شامبرز) قد هبط بالطائرة لسبب بسيط : الرغبة فى الخروج من مجال رادار الدفاع الجوى وخفر السواحل ..

الآن غدت الطائرة خفية بالنسبة لأجهزة الاستطلاع ..

قال لـ (بانكر) :

ـ « قد نلنا الآن حريتنا .. سنكون عند الجزيرة بعد عشرين دقيقة .. »

ـ « لابأس .. »

ـ « لقد أحسنت التخطيط .. جزيرة مهجورة .. مطار غير مستعمل منذ الحرب الأخيرة ..

قال (بانكر) ساخرًا :

ـ « ومساعد طيار متعاون .. أليس كذلك ؟ »

لم يجد (شامبرز) ما يقول .. فالرجل يسيطر عليه تمامًا ..

★ ★ ★

كان الجو يسوء باستمرار ..

وبدأ (بانكر) يشعر بالقلق بسبب ارتفاع الطائرة الخفيض ، وراح يصغى إلى اتصالات الطائرات المقاتلة التى تفتش عن الطائرة (٧٤٧) دون كلل ..

قال (شامبرز) :

ـ « لا تخش شيئًا .. إن هذه الطائرات تبحث عنا حيث من المفترض أن نكون .. ونحن نبتعد عنهم بسرعة ستمائة ميل فى الساعة .. »

شعر (بانكر) ببعض سخرية فى كلام (شامبرز) ، وهو لم يكن يحب أن يسخر منه أحد أو يعتبره جاهلا ..

لم يكن يحب (شامبرز) بتاتًا .. ولم يحب فكرة أنه مجرد هاو .. ربما يثرثر أكثر من اللازم بعد انفصالهم .. و(بانكر) أكثر من سواه يعرف خطر الشريك الثرثار ..

بعد هذه الرحلة لن يهمه كثيرًا ما سيحدث لـ(شامبرز) ..

غادر القمرة فوجد بعض الركاب يتحركون ببطء ويئنون .. لحسن الحظ أنهم سيصلون جزيرة (سان جورج) بعد ربع ساعة قبل أن يفيق الجميع ..

نعم .. بعد الهبوط لن يحتاج إلى (شامبرز) .. وسيكون هذا أفضل حتى على مستوى تقسيم الأموال ..

★ ★ ★

وفى مخزن البضائع كان (ويلسون) عاكفًا على إخراج اللوحات ، ورصها جوار باب الحمولة ، فراح يعينه ..

فى الوقت ذاته كان (شامبرز) على ارتفاع ستمائة قدم فوق سطح المحيط .. الضباب يتزايد حتى

غدت الرؤية مستحيلة .. أحيانًا كانت الطائرة تخرج من الضباب لحظة ، عندها كان يرى الماء ثم يختفى المنظر ثانية ..

حالاً سيكونون فوق الجزيرة ويفرغون الحمولة .. وغدًا يكون فى (ريودى جانيرو) باسم جديد وثروة فاحشة ..

لكنه لم يكن سعيدًا ..

فهو لم يفكر قط فى نفسه كمجرم .. بل لم يعتبر نفسه سيئًا قط ..

الآن من الواضح تمامًا أنه كلا الرجلين .. لكنه كان يعرف عن نفسه منذ زمن أنه واهن ضعيف ، خسر كل ما يملك فى القمار فى (لاس فيجاس) وصار مدينًا بخمسة وعشرين ألفًا ..

هنا ظهر (بانكر) فى طريقه بعرضه المسموم : تعاون ولن تكون هناك ديون ، بل ستغدو ثريًا .. لا تتعاون ولسوف تسترد نقابة القمار ديونها .. بالدم .. ولم يكن ثمة اختيارات كثيرة ..

كان سيغدو ثريًا بعد دقائق ، لكنه كان يعتبر حياته كلها فشلاً وسوء حظ ..

هنا خيل إليه أنه يرى شيئًا ما أمامه .. حسبه مجرد ظلّ .. لكنه كان مخطئًا بدرجة مرعبة ..

فجأة رأى بريقًا أخضر يدنو منه .. ثم أدرك ما يراه ..

إن ما يدنو منه هو برج لحفار بترول من الحفارات التى تنقب فى المحيط .. وككل الطيارين كان سريع ردّ الفعل .. زاد من سرعة النفاثات ، ووجه مقدمة الطائرة لأعلى .. لكنه سمع صوت الارتطام المعدنى ، وأدرك أن الجناح اصطدم بالبرج ..

راحت إضاءة حمراء تلتمع فى لوحة القيادة .. وحاول استرداد التحكم ، بينما عقله يعمل فى ثبات محاولاً فهم ما يحدث وفرص النجاة ..

إن المحركات مشتعلة .. ضغط على زرّ إطفاء الحريق للمحرك الرابع وراح يرتفع أكثر .. هنا دوى صوت انفجار .. لقد انفجر المحرك الثالث .. لابد أن شظايا الرابع قد دخلت فيه ..

إن أنظمة الطائرة تتحلل .. هكذا لاحظ الجزء المنفصل من عقله ما يحدث فى برود تام ..

★ ★ ★

وحين حدث التصادم كان قريبًا جدًا من مخزن البضائع ، واستطاع (ويلسون) أن يتشبث .. لكن (بانكر) لم يستطع ..

طار فى الهواء ليصطدم رأسه بالجدار فى قوة ..

إن الأرض تهتزّ .. هرع (ويلسون) إلى الباب مذعورًا وقد انتابه هلع حيوانى ، حتى إنه لم يبال بنداء (بانكر) له ..

خرج إلى الاستراحة ، وقد صار اهتزاز الطائرة شرسًا ..

كان كثير من الركاب قد بدأ يسترد وعيه من فرط الهزات .. فما إن دخل (ويلسون) قمرة القيادة حتى وجد مئات الأضواء الحمراء تلتمع .. وأدرك أن الماء صار دانيًا جدًا ، وأنهم على وشك الاصطدام به ..

★ ★ ★

لم يدر (جالاجر) كم استغرقه الخروج من أبدية السواد التى دخلها .. ولم يدر ما يحدث هاهنا ..

متأرجحًا شقّ طريقه إلى خارج الغرفة .. يجب أن يصل إلى قمرة القيادة .. إن الضوء الأحمر يخبره بأن المحركات مشتعلة .. لكن كيف ومتى ؟



واستطاع (ويلسون) أن يتشبث .. لكن (بانكر) لم يستطع ..

صاح فى المسافرين الذين بدءوا يفيقون ..

ـ « اتجهوا لمؤخرة الطائرة ! أسندوا ظهوركم إلى الجدار الصلب ! »

تفاعل بعض المسافرين معه ، وراحوا ينهضون ليعينوا سواهم ..

لقد صارت زاوية انحدار الطائرة حادة تمامًا ، وراحت الأكواب والأطباق تتدحرج إلى مقدمة الاستراحة ..

وحاول (شامبرز) أن يحفظ الطائرة فى وضع أفقى .. لو استطاع أن يلمس الماء ببطن الطائرة لا مقدمتها فلربما كانت هناك فرصة نجاة ..

راح ـ قانطًا ـ يجذب عجلة القيادة ، وكاد ينجح فى الهبوط كما أراد .. لكن الطائرة ضربت الماء بقوة هائلة ..

كانت الصدمة شبيهة بانفجار مروّع ..

* * *

وفى الاستراحة تهاوت أجزاء* من بطانة الجدار ، وطارت المناضد والأرائك وزجاجات الخمر .. ووجد (جالاجر) نفسه وسط شلال من الزجاج المهشم ..

ورأى مضيفة تطير كالقذيفة لتخترق شاشة التلفزيون العملاق .. وتحرك البيانو ليسقط فوق العازف الضرير ..

صوت صراخ .. صوت معادن تلتوى .. صوت الهلع الآدمى ..

وفجأة بنفس المعجزة الغامضة توقف كل شىء ..

لحسن الحظ لم يبد أن الماء تسرب إلى الطائرة .. لكن الطائرة استقرت فوقه وراحت تتمايل ..

كان المسافرون مذعورين لا يدرون ما سيحدث فيما بعد ..

لكن (جالاجر) كان يعرف أن باب الخروج يجب ألا يفتح ، وإلا تسرب الماء وهوت الطائرة للقاع كحجر ..

كثيرون جرحوا بفظاعة ، وانتشر البعض عبر الطائرة يئنون ويصرخون .. كانت الطفلة (بونى) محشورة بين البار والحائط وكانت تبكى بصوت عال ، على حين رقد (بوتشك) ويده محشورة تحت البار .. من الواضح أنه كان يحاول إنقاذها فانحشرت يده ..

وأدرك (جالاجر) على الفور أن ذراع الرجل تهشمت .. حاول مع مسز (ستيرن) أن يزيحا البار قبل أن تميل الطائرة أكثر ، وقبل أن تتهشم الطفلة ..

فى النهاية استطاعا أن يحررا الطفلة .. وأخرج (بوتشك) ذراعه .. ساعده (جالاجر) على النهوض فوجد أن يده تتدلى عاجزة إلى جواره ، ولم يتحمل لمسة (جالاجر) لها ..

قال لـ (جالاجر) :

ـ « ساعد الآخرين .. فهم فى وضع أسوأ .. »

نهض (جالاجر) وأمر الناجين بأن يَجُرّوا المصابين إلى قرب باب الخروج ، وراح بعض الرجال يرفعون البيانو عن (ستيف) .. كان يضع يده على صدره وينن .. وعرف الجميع أن ضلوعه تهشمت ..

انحنت (جولى) عليه ، وبذراعيها طوقته ..

وشعر (جالاجر) بحنق على ما بدا له ، مأساة غير ضرورية ، وبلا تفسير ..

★ ★ ★

قبل أن تصدم الطائرة الماء ؛ كان (بانكر) فى مخزن البضاعة .. وقد عاد إلى وعيه ، لكنه يشعر بألم فى أذنه ، ويجد عسرًا فى تركيز عينيه ..

ثم لمست الطائرة الماء فاصطدم رأسه ثانية ، ورأى الحاويات العملاقة المصنوعة من الألومنيوم

ـ وتزن الواحدة أكثر من ألف رطل ـ تنحدر نحوه عبر أرض المخزن بسهولة تامة ..

اخترق أحدها جانب الطائرة بقوة مرعبة ، وفى هلع رأى (بانكر) الفتحة التى بدأت تتسع .. والماء يتدفق منها .. آلاف الجالونات تدخل جسم الطائرة ..

حاول أن ينهض لكن الحاويات ثبتته فى موضعه بقوة لا توصف ، وراح الماء يملأ المخزن ..

هنا راح (بانكر) ـ الذى لم يجرب قط الشعور بانعدام الحيلة ـ يبكى .. وبدأ الماء يعلو .. يذوق طعمه المالح .. يختنق ..

وفى الخارج ـ فى ضوء القمر ـ مالت الـ(٧٤٧) إلى أحد جانبيها ، ثم راحت ببطء تهوى إلى القاع .

★ ★ ★

كان (فرانك باورز) و (والاس) يحاولان رفع الشاشة العملاقة من فوق رجل سقطت فوقه ..

فما إن أخرجاه حتى أدركا أن قلب الرجل قد كف عن الخفقان ..

هنا سمع (والاس) صوتًا حادًا ميز فيه صوت زوجته تصيح :

- « ربّاه ! انظروا ! »

كانت صرخة ذعر جعلت الجميع يلتفت إليها .. كانت تشير إلى النافذة ، فرأى الجميع الماء يعلو ببطء فوق مستوى النوافذ ..

ساد الصمت ثم تعالت الصرخات ..

وبدأت أضواء الطائرة تتوهج ثم تلاشت ..

وشعر (مارتن والاس) أنه يعيش أحد الكوابيس الرهيبة ، حيث يهوى إلى ظلمة لا نهائية .. الفارق أن هذا لم يكن كابوسًا ..

أما (بوتشك) فكان متشبثًا بجدار .. الذعر يغمره لكن ذهن المهندس فيه لم يكف عن إجراء الحسابات المعقدة .. واضح أن قاع الطائرة امتلأ بالماء ، لكن لا يوجد تسرب إلى قسم المسافرين ، ولو حدث لكان هذا واضحًا منذ فترة طويلة ..

لكن هل تتحمل المخازن صدمة القاع ؟

فى النهاية دوى صوت صخب عال .. لقد اصطدمت الـ (٧٤٧) بقاع المحيط فعلاً ..

وساد الصمت سوى صوت بكاء المسافرين ..

مدّ يده إلى جيب حلته فأخرج كشافًا صغيرًا ..

الحمد لله على أنه وضعه فى جيبه هذا الصباح .. وعلى ضوء الكشاف تأمل الوجوه المذعورة :

- « الآن اصغوا إلىّ .. هناك ضوء طوارئ لهذا القطاع .. »

واتجه إلى مؤخرة الطائرة وهو يتحسس طريقه بالكشاف ..

فى النهاية وجد صندوق المحولات .. كان يعرف أن البطاريات ستعمل ما لم تكن مبتلّة .. مدّ يده وفتح المحوّل فأضيئت الاستراحة .. تنفس فى راحة .. والآن عليه أن يتفقد قطاع المسافرين ليتأكد من عدم وجود تسرّب ..

كانت (كارين والاس) تفكر فى شىء واحد : الخروج من الطائرة .. لذا - ما إن عاد الضوء - حتى هرعت إلى مكان سترات النجاة فارتدت واحدة ، ولحق بها أحد الموجودين ليفعل مثلها .. ثم بدأ التدافع المجنون ..

هنا وثب (جالاجر) وسطهم وفى غضب صاح :

- « انسوا سترات النجاة ! لا أحد يستطيع فتح الأبواب دون أن يمزقنا الماء ! »

انهالت الأسئلة الملهوفة عليه والاحتجاج :

ـ « يجب أن نخرج / سنغرق هاهنا / هل طلبتم النجدة ؟ / سينتهى الهواء قبل أن يجدونا ! »

ردَ عليهم قدر ما استطاع .. كان عليه أن يعيد جو النظام إليهم وإلا أدى هذا إلى تدميرهم .. قال لهم إن الماء لم يتسرب إلى الاستراحة وهذا يعنى أنهم آمنون .. أخبرهم أن اللاسلكى لا يعمل تحت الماء ، لكن الرادار يعرف مكانهم ، وبالتأكيد النجدة فى الطريق ..

ـ « والآن اصغوا لى .. لقد تأذى كثيرون وعلينا أن نعاونهم .. أحضروا الملاءات والبطاطين لنريح المجروحين .. »

ثم اتجه نحو د . (ويليامز) الذى كان يضمد ذراع جريح :

ـ « هل أنت طبيب ؟ »

هزَ رأسه أن نعم .. فقال له :

ـ « ثمة طفلة جريحة فى البار .. عليك أن تساعدها .. »

هنا دنا منه (بوتشك) ليقول له :

ـ « الجزء الأمامى من الاستراحة على ما يرام .. »

ثم مال ليسأله همسًا :

ـ « (دون) .. ماذا حدث ؟ »

ـ « لا أعرف .. لكنى سأعرف الحقيقة حالاً .. »

ثم ترك المهندس ليذهب إلى قمرة القيادة ..

كان (بوتشك) يعرف أن الطائرة لن تتحمل كثيرًا البقاء تحت الماء ، لكنه كان يأمل أن تظل وقتًا يكفى حتى وصول النجدة ..

★ ★ ★

هرع (جالاجر) إلى قمرة القيادة .. وهنا رأى ـ وسرَ لذلك ـ (إيف) على الأرض تحتضن (ليزا) النائمة بين ذراعيها ..

وعلى بعد خطوات من (إيف) رأى (ووكر) مهندس الطيران غارقًا فى دمه ..

قالت (إيف) دامعة :

ـ « إنه ميت ! »

نهض (جالاجر) وربت على كتف (إيف) التى فقدت شجاعتها تمامًا ، وقال لها :

ـ « (إيف) .. ثمة جرحى هنا يجب معاونتهم .. إنهم بحاجة إليك وأنا مثلهم تمامًا .. »

ابتسمت فى حزن وهمست :

ـ « سأحاول .. »

فى قمرة القيادة كان (شامبرز) على مقعده ، وقد تهشم رأسه على لوحة القيادة ، وعلى الأرض كان (ولسون) وقد التوى عنقه فى زاوية غريبة .. واستطاع (جالاجر) أن يرى قناع الغاز جوار (ولسون) ..

هكذا بدأ يفهم ما كان .. ثم تأكد يقينه حين تفحص (شامبرز) فوجد المسدس عيار ٠,٤٥ فى جيبه ..

أيًا ما كان غرض المؤامرة التى تمت فمن الواضح أن (شامبرز) متورط فيها .. كان (شامبرز) يتنفس فى عسر شهقات غير منتظمة ، وبدا لـ(جالاجر) أن الرجل سيعيش ..

أثار غضبه كل هذا الحمق والشرّ اللذين تسببا فى هذا ..

هنا جاء أحد المسافرين عارضًا خدماته ، فقال له (جالاجر) :

- « دعنا نأخذ هذا الوغد إلى المكتب ، فلديه الكثير مما يفسره لنا لو ظل حيًا .. »

فى الآن ذاته كان (بوتشك) فى المكتبة يتفقد الزجاج والجدران بحثًا عن علامات شروخ أو تسرّب .. هذا التسرّب سيكون هو التوقيع على شهادات وفاتهم ..

تفحص الجدار .. كان جسم الطائرة المصنوع من الألومنيوم باديًا فى أكثر من موضع .. مدّ يده وانتزع جزءًا من البطانة ؛ عندها وجد ما كان يبحث عنه ..

إنه انتفاخ مخيف منذر بالهول فى الجدار ..

تبادل نظرة خوف مع الراكب الذى كان معه .. فسأله الأخير :

- « ما رأيك ؟ هل ستتماسك ؟ »

- « إنها طائرة قوية حقًا .. لكنها لم تخلق لتحمل كل هذا الضغط الخارجى .. »

- « وإلى متى ستصمد ؟ »

- « لا أدرى .. » - وهزّ رأسه - « .. ربما ما يكفى حتى تجدنا وحدة الإنقاذ »

وبان القنوط فى صوته ..

★ ★ ★

راح د.(ويليامز) يفحص حدقتى (شامبرز) على ضوء الكشاف ..

جواره وقف (جالاجر) نافد الصبر ينتظر نتيجة انتهاء الفحص ، فإن (شامبرز) يملك معلومات يريدها .. يجب أن يعرف أين هم .. ومتى لهم أن يتوقعوا قدوم النجدة ..

فى النهاية أطفأ (ويليامز) الكشاف وقال :

ـ « إن حدقتيه تستجيبان .. هذا ارتجاج فى المخ ولسوف يصحو منه .. »

ـ « متى .. »

ـ « عسير أن نقول .. لربما تم هذا بسرعة .. »

هزّ (جالاجر) رأسه .. مجرد عدم يقين وسط متاهة من الأشياء غير المؤكدة .. واستدار لـ(كراوفورد) وقال له :

ـ « راقب هذا الوغد وأخبرنى حين يستردّ وعيه .. »

ثم إنه غادر المكان مع د.(ويليامز) وقد صار أكثر هدوءًا .. وكان الركاب ملتفين فى الاستراحة فى مجموعات صغيرة يحاولون رفع معنويات بعضهم .. ورأى (بوتشك) قادمًا نحوه .. وجهه المقطب يدل على شؤم تقييمه لموقف الطائرة ..

بصوت هادئ كى يتجنب إفزاع المسافرين أخبره بالوضع .. وطلب من د. (ويليامز) أن يعنى بالساقى (إيدى) الذى تهشمت رجله داخل حجرة الاتصالات ..

وفى الاستراحة كان (مارتن والاس) يحتضن زوجته التى لم تصب ، لكنها كانت منهارة تمامًا .. فناداه قائلا :

ـ « أحتاج للعون .. هلا أتيت هنا ؟ »

قال (مارتن) :

ـ « بالطبع .. »

لكن زوجته تشبثت به بقوة .. كانت تعتصره بدافع من الغضب .. أكثر منه الخوف .. وحين تكلمت كان صوتها قويًا :

ـ « لا تتركنى .. »

كان يعرف أن التعقل لا يجدى معها .. لكن لابد لها أن تفهم أن هناك أناسًا آخرين فى العالم .. أشخاصًا يحتاجون إلى أشياء مثلها تمامًا .. وفى عينيها رأى تفاعلها الحيوانى الملىء بالفزع ..

ـ « (كارين) .. هناك أناس يجب العناية بهم .. »

غرست أظفارها فى ذراعه وصاحت :

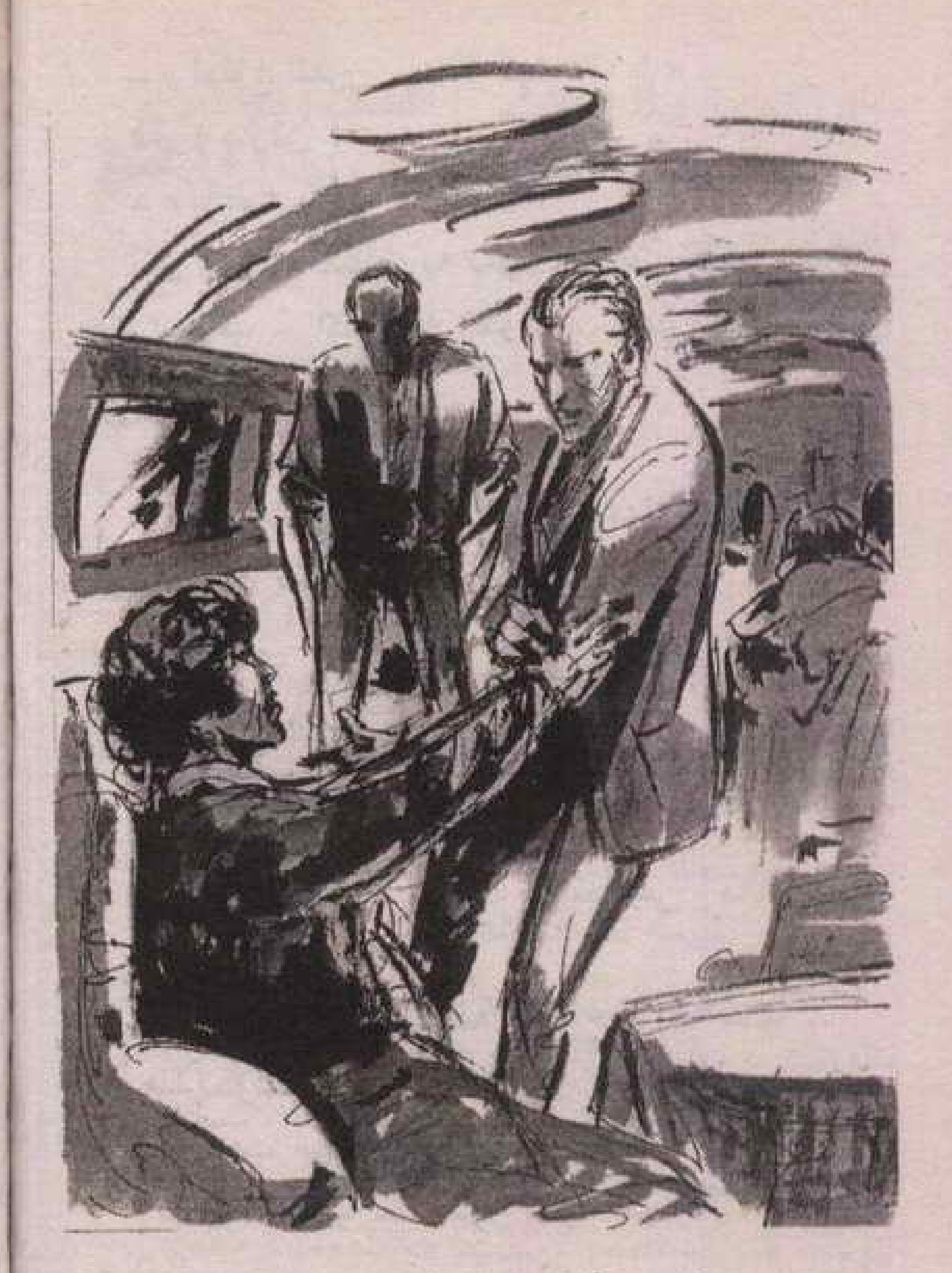
ـ « أنت زوجى .. وعليك أن تحمينى ! ماذا سيحدث لى ؟ »

نهض بشىء من الغلظة وانتزع ذراعه منها ..

هنا تحولت إلى أفعى سامة .. وصرخت :

ـ « اذهب أيها الوغد ! »

وتذكر أنه لعب هذا الدور معها مرارًا .. فانصرف صامتًا ..



غرست أظفارها فى ذراعه وصاحت :

ـ « أنت زوجى .. وعليك أن تحمينى » !

وبين ذراعى أمه التى تمسح على شعره ، قال (بنجى) :

ـ « ماما .. هل سنموت جميعًا ؟ »

شعرت بحيرته بصدد ما يحدث .. فالموت شىء غامض بالنسبة للأطفال .. لذا قالت له دون أن تؤمن بما تقول :

ـ « لا يا عزيزى .. سنكون على ما يُرام .. »

★ ★ ★

على ضوء الكشافات تحسس (بوتشك) قاع قسم البضائع .. كان ماء البحر يتسرب ببطء لكن بثبات ..

معنى هذا أن مخزن رقم واحد قد غرق تمامًا ..

كان هو و(جالاجر) يفهمان خطورة الموقف .. هل سيتم إنقاذ المسافرين قبل أن يتسرب الماء إلى قسم المسافرين ؟ لا أحد يعرف ..

★ ★ ★

كان (ستيف) مستندًا إلى جدار الطائرة ، يضغط بمنشفة مبتلة بالدم على جرح وجهه ، وجواره انحنت (جولى) تستبدل له المنشفة .. كان القلق يعتصرها عليه ..

إن الأمر مرعب .. لكنه غير قابل للوصف بالنسبة

لشخص كفيف يعيش الألم دون أن يعرف ما يحدث حوله ..

ـ « هل تحتاج إلى جرعة ماء ؟ »

ـ « نعم .. »

هرعتْ إلى البار فوجدت زجاجة سليمة وكوبًا .. ملأت الكوب بالماء ، ثم عادت إليه .. حسبته نائمًا .. فهو مسترخ والسلام على وجهه .. لكنها ركعت جواره لتعرف الحقيقة .. لقد مات ..

وضعت رأسها على صدره وراحت تنشج ..

★ ★ ★

اجتاز (جالاجر) و(بوتشك) الماء ـ الذى وصل إلى الركبتين ـ فى قاع الطائرة .. وكانت هناك جثة عرفا على الفور أنها جثة الطاهى ..

استدار (جالاجر) إلى زميله وقال :

ـ « حسن .. ما هو رأيك ؟ »

ـ « بعد مدة يمتلئ الجزء الأوسط من الطائرة كله .. سيستغرق هذا ساعتين أو ثلاث ساعات .. يجب أن تصل النجدة قبلها .. »

هنا ظهر (كراوفورد) على قمة الدرج .. وصاح :

ـ « كابتن .. لقد استعاد مساعدك وعيه .. »

شعر (جالاجر) براحة .. إن ما سيقوله (شامبرز) لهو شديد الأهمية .. لذا هرع عبر المياه ليلحق بالرجل ..

★ ★ ★

كان (شامبرز) جالسًا على الأريكة ، مليئًا بالكدمات لكن دون إصابات خطيرة ، وقد أجاب على كل الأسئلة ، بينما (بوتشك) و(جالاجر) و(كراوفورد) يصغون ..

أثارت هذه القصة غثيان (جالاجر) وغضبه ، لكنه تمالك أعصابه كى يسأل سؤالًا مهمًا :

ـ « هل حصل رادار السواحل على إحداثياتنا قبل التصادم ؟ »

هزّ (شامبرز) رأسه :

ـ « لا .. لم تكن هناك فرصة ، وكنا تحت مستوى الرادار .. »

فى غضب هزّ (جالاجر) مساعده :

ـ « يا لحظك أنك مصاب أيها الوغد التعس وإلا لمزقتك إربًا ! »

أطرق (شامبرز) رأسه ، وتمدد على الأريكة ..

استدار (جالاجر) إلى (كراوفورد) يطلب منه

مراقبة الرجل .. وخرج إلى الاستراحة فرأت (إيف) وجهه القلق وسألته :

- « ما معنى هذا ؟ »

- « يعنى أن (شامبرز) أبعدنا مائتى ميل عن موضع فرق البحث .. »

اتسعت عيناها وهمست :

- « ألا توجد فرصة ؟ »

- « لا فرصة فى الجحيم .. نحن وحدنا تمامًا .. »

★ ★ ★

لم تتوقف حركة البحث عن الـ (٧٤٧) فى مركز (التنسيق التاكتيكى للبحرية) .. لكن ما إن توغل الليل حتى بدأ الرجال يظهرون الاكتئاب والإرهاق اللذين يصاحبان البحث غير المثمر ..

شربوا مئات الجالونات من القهوة ، وامتلأت مطافئ التبغ بالأعقاب .. كان الطقس يسوء باستمرار ، ومن العسير إرسال طائرات أكثر إلى موضع الطائرة المفترض ..

وكان (فيليب ستيفنز) قد جاء من (بالم بيتش) بعدما علم باختفاء طائرته .. وجلس فى مقعد فى

غرفة الرادار يصغى إلى ما قام به الأدميرال (كوريجان) قائد العملية ..

طيلة حياته كان يعتبر نفسه مؤهلاً للتعامل مع أية كارثة .. لكن الانتظار المرير وعدم اليقين كانا يحطمانه ..

كان يعرف أن هؤلاء الرجال يؤدون عملهم كما ينبغى ، لكن هذا غير كاف بالتأكيد .. فكر فى أصدقائه وابنته وحفيده الذين ربما هلكوا الآن .. إن هذا أكثر مما يتحمله .. وحتى رجل فى قوته له حدوده ، وهو قد وصل إلى هذه الحدود ..

★ ★ ★

سأل الأدميرال :

- « أريد منك أن تكون صريحًا معى .. ما هى فرصنا ؟ »

نظر إليه (كوريجان) وعرف أنه يجب أن يقول الحقيقة :

- « ما بين البحرية وحرس السواحل لدينا عشرون طائرة فى الجو وست سفن فى الماء .. وحتى الآن لم يصلوا إلى شىء .. »

وأخرج سيجارًا أشعله ، ونفث الدخان وقال :

- « لا شىء .. أنا آسف يا (فيليب) .. لكن الأمر لا يبدو مريحًا .. »

وشعر (ستيفنز) بقلبه يغوص برغم أنه توقع كلمات كهذه .. لكن سماعها يختلف بالتأكيد ..

★ ★ ★

ساد جو ثقيل فى الاستراحة ، ونام بعض الركاب المرهقين ..

لم يعد هناك ما يمكن عمله الآن .. لقد أزيل الزجاج المكسور وعولج الجرحى قدر الإمكان ..

بدأ ضوء أخضر يتسرب عبر النوافذ .. إنه الفجر .. ضوء الشمس آت عبر المياه .. فى البدء ارتفعت معنوياتهم .. هناك فرصة مع النهار كى يراهم أحد .. وتحركت الغريزة الحيوانية التى جعلتهم يسعدون لرؤية ضوء النهار بعد السواد المطبق الذى كان يحاصرهم ..

كان (جالاجر) قد أفهمهم ما حدث بالضبط .. الاختطاف .. سرقة اللوحات .. كانوا غاضبين على (شامبرز) وحاول بعضهم الفتك به ، لكن (جالاجر) قال لهم فى حزم :

- « لن نتحول إلى عصابات .. إن السلطات ستتعامل معه بعد نجاتنا .. »

لم يحب أن يكذب عليهم .. لكنه قدم لهم الكثير من الأعذار عن سبب تأخر النجدة .. فلو عرفوا ألا أمل هناك لعمّ الهلع .. وآخر ما كان يريده هو ذعر عام ..

★ ★ ★

- « أين الدائرة 15 - E ؟ »

انحنى (بوتشك) على الصفحة يدقق ..

كان جالسًا مع (جالاجر) عاكفين على كتاب الدوائر الكهربيةّ المعقدة فى الطائرة .. تتبع (بوتشك) الدوائر بإصبعه ثم قال :

- « ها هى ذى .. »

- « هل يمكننا الوصول إليها ؟ »

- « هذا سهل .. والآن إذا أردت أن ... »

هنا سقطت قطرة ماء فوق الصفحة .. تبعتها قطرة أخرى ..

هنا رفع (بوتشك) رأسه ليرى الماء يتجمع عند السقف ليكون نقطة جديدة .. تبادل الرجلان النظرات .. ثم نهض (بوتشك) صاعدًا إلى الجزء العلوى من الطائرة ..

وعلى ضوء الكشاف استطاع أن يرى خيط الماء يتجمع آخذًا طريقه إلى قسم المسافرين .. خيط بطىء لكنه واثق ..

اتجه إلى المكتب .. فوجد الأرض مغمورة بالماء .. إن جدار الطائرة لم يعد يتحمل كل هذا الضغط ..

التقط قناع أوكسجين وأسطوانة كانا هناك ، وعاد إلى الاستراحة ..

إن خطة (جالاجر) مجنونة لكنها أملهم الوحيد ..

سأله (جالاجر) هامسًا :

ـ « ما مدى سوئه ؟ »

ـ « سيئ بما يكفى .. »

أشار (جالاجر) إلى دائرة كهربية فى الصفحة ، وقال :

ـ « انظر إلى 57W .. إنها صالحة .. »

يجب أن ينتهوا من هذا سريعًا .. إن الماء قادم لا محالة ..

★ ★ ★

هتفت (جولى) فجأة :

ـ « أصغوا ! هل تسمعون هذا الصوت ؟ »

حاولت (إيف) أن تصغى .. أجهدت أذنيها ..

كان صوتًا هو مزيج من الضوضاء والاهتزاز ، فصاحت فى الموجودين :

ـ « أرجوكم .. اصمتوا لحظة ! »

نظروا لها بدهشة ، ثم ساد الصمت .. بدأ الصوت يزداد وضوحًا .. نهض (مارتن والاس) وأرهف السمع .. إنه غطاس بارع لهذا يعرف هذا الصوت جيدًا .. لذا ابتسم وقال للموجودين :

ـ « إنه قارب ! إنهم قادمون من أجلنا ! »

تعالى الصراخ ، وراحوا يحتضنون بعضهم ..

★ ★ ★

وفوق سطح الماء كانت ناقلة الزيت الفرنسية (ليبرتيه) تتحرك بسرعة خمس عشرة عقدة .. كانت متجهة إلى (تكساس) ..

وكان أفراد الطاقم يجنون شوقًا للعودة إلى الأرض بعد طول غياب ..

وعلى سطحها كانت الشمس الجميلة تلتمع ، وأشعل (الناضورجى) لفافة تبغه الأولى واستراح فى مقعده ..

لم يكن هناك بالطبع شىء يمكن رؤيته على سطح الماء ..

★ ★ ★

تلاشى صوت المحركات ..

تعالى الخوف وفقدان الأمل ..

واستدارت (ليزا) إلى (بوتشك) وسألته نفس السؤال الذى يسأله الجميع :

ـ « كيف يتركوننا ؟ كيف يفعلونها ؟ »

ارتجف جسده توترًا .. وقال :

ـ « لا أعرف .. »

هتفت (كارين والاس) بأسلوبها المتنمر :

ـ « أنا أعرف لماذا لم يتوقفوا .. هل تعرفون السبب ؟ »

ساد الصمت .. فقالت ولسانها يقطر حقدًا :

ـ « لم يتوقفوا لأنهم لم يرونا .. لم يعرفوا أننا هنا .. ألا تفهمون يا حمقى ؟ لا أحد يعرف أننا هنا ولن يجدونا أبدًا ! »

لقد أظهرت لهم حقيقة كانوا يشكون فيها .. لكن الجميع تمنى ألا تقال .. ولم يستطيعوا تجاهلها بعد ما قيلت ..

نظر لها (جالاجر) فى اشمئزاز .. إن هذا آخر ما يريده الآن .. كانت المرأة من الطراز الذى يداوى القلق بتوزيعه على الآخرين ..

ـ « أعتقد أن هذا كاف يا مسز (والاس) ! »

ثم قرر أن يتكلم بصراحة .. قال :

ـ « ليكن .. الوضع أسوأ مما قلت لكم .. طائرات البحث لا تعرف مكاننا .. لكن لدينا خطة .. »

واتجه إلى موضع سترات النجاة ، وأخرج عبوة صفراء كبيرة :

ـ « هذا طوف ينتفخ ذاتيًا به جهاز لاسلكى يعمل حين يكون الطوف على سطح الماء .. وسيرسل إشارة استغاثة (ماى داى) إلى وحدات الإنقاذ .. سنحاول إخراج هذا الطوف من الطائرة ..

« يوجد فى هذه الطائرة باب واحد يُفتح للداخل هو فى مخزن البضائع .. وقد درست ومستر (بوتشك) دوائر الطائرة ، وأعتقد أن بوسعنا فتح الباب كهربيًا .. ويوجد جزء خاو بين مخزن البضائع وهنا .. وهذا معناه غرق جزء واحد فقط .. »

سأله (نيكولاس) :

ـ « كيف ستتنفس ؟ »

مدّ يده ليريهم قناع الأكسجين والأسطوانة .. وقال :

ـ « سأرتدى هذا إلى حين أصل للسطح .. »

ساد الصمت بينما الموجودون يمتصون كلماته

ويحاولون استيعابها .. وكادت (إيف) تجن وهى تتصوره فى مخزن البضائع يفتح الباب ليغرقه ..

قال (مارتن والاس) :

- « كابتن .. يجب أن أذهب معك .. »

- « أخشى أننى لن ... »

- « كابتن .. أنا غواص محترف .. والفرصة لرجلين خير منها لواحد .. »

كاد (جالاجر) يرفض حين قال (بوتشك) :

- « إنه محق يا (جالاجر) .. ليس من حقك الرفض .. سأحضر قناعًا وأسطوانة له .. »

واتجه الرجال إلى مخزن البضائع حاملين الطوف ..

★ ★ ★

ما إن وصلوا إلى مؤخرة الطائرة ؛ انتزع (بوتشك) جزءًا كبيرًا من بطانة الجدار لتظهر الأسلاك الكهربية متعددة الألوان .. كان (بوتشك) يستطيع أداء العمل بشكل أفضل ، لكن ذراعه المهشمة جعلته يكتفى بإصدار التعليمات ..

كان على (جالاجر) أن يكون حذرًا وإلا انفتح الباب فجأة .. وقال له (بوتشك) :

- « هو ذا .. اربط السلك الأحمر والأخضر معًا .. لكن لا تتركهما يلمسانِ الأزرق .. »

قام (جالاجر) بما قيل له .. لو لامس السلكان الأزرق لانفتح الباب .. وقال لـ (بوتشك) :

- « ما يقلقنى هو قدرة الباب الأوسط على تحمل كل هذا الضغط .. ؟

- « سنعرف هذا حالاً يا زميل .. »

★ ★ ★

وضع (مارتن والاس) أسطوانة الأوكسجين على حزامه ، ووصلها بخرطوم قناع الوجه .. وفتح أسطوانة الأوكسجين وتنفس قليلاً ثم أغلق الصمام .. إنه جهاز بدائى حقًا نفعه الوحيد هو إمداد طاقم الطائرة بالهواء فى الجو ، لكنه غير مخصص للغطس .. لكن ما الحيلة ؟

خرج إلى الاستراحة فجاء الموجودون يشكرونه ويشجعونه على ما سيقوم به .. شعر بأنه على ما يرام ..

شخص واحد فقط لم يشكره ولم يودعه : زوجته (كارين) .. فقد تشاجر معها منذ ثوان لأنها تأبى له أن يشارك (جالاجر) فى تلك المغامرة المجنونة ..

لم تكن علاقتهما هى تلك العلاقة السامَة دائمًا .. أحيانًا كان يشعر بأنها تحبه .. وقالت له :

ـ « لن يجدى شىء أقوله .. أليس كذلك ؟ »

لم يجب .. فقالت :

ـ « دع (جالاجر) يرحل وحده .. أرجوك .. »

ـ « إننى أفعل هذا من أجلنا .. »

ـ « (نحن) ؟ أنا وأنت هما (نحن) .. أما كل هؤلاء فغرباء .. مشكلتك أنك تعتقد أن كل واحد هو (نحن) .. »

كان مستحيلاً جعلها تفهم ..

ـ « اذهب الآن .. كن شهيدًا .. لكن لا تتوقع منى أن أصفق لبطولتك الرخيصة هذه .. »

لم يرُد ولحق بالرجال فى مخزن البضاعة ..

★ ★ ★

قال (مارتن) لصديقه (فرانك) :

ـ « لو حدث شىء لى فأرجو أن تعنى بالعمل .. »

ـ « ثق بهذا .. »

ـ « وتأكد من أن (كارين) لن تؤذى نفسها .. »

وشعر براحة لأنه سيلقى بنفسه ومشاكله فى المحيط من جديد ..

استدار (جالاجر) وأشار بإبهامه لأعلى بمعنى O.K لـ(والاس) .. ثم صافح (بوتشك) و(إيف) الدامعة .. وخرج الأخيران من غرفة البضاعة بعدما أحكموا إغلاق الباب ..

وقف الرجلان أمام باب البضاعة .. كانا يعرفان أن هناك مئات الأطنان من ماء المحيط على الجانب الآخر من الباب ، ولسوف تنهال عليهما بعد ثوان ..

قال (جالاجر) :

ـ « حسن .. سنبدأ .. ابتعد عن الباب قدر الإمكان .. فلو انفتح لحسبت أن بوابات الجحيم انفتحت .. »

ابتعد (مارتن والاس) عن الباب ، وتشبث بالجدار .. أما (جالاجر) فمدَ يده إلى الأسلاك .. فتح صمام الأكسجين فشم رائحة الغاز البارد النقى فى رئتيه ، وسمع صوت الهسيس ..

قال (والاس) :

ـ « كابتن .. إذ تصعد إلى السطح حاول أن تخرج كل الهواء من صدرك .. لا تحاول حبس نفسك وإلا آذيت رئتيك .. »

هزَ (جالاجر) رأسه .. ومدَ يده ولامس السلك الأزرق بالسلكين الآخرين .. دوى صوت المحرك

الذى يفتح الباب لكن هذا لم ينفتح .. انتظر لحظة ثم لامس الأسلاك مرة أخرى ..

صوت المحرك لكن الباب لم ينفتح ..

تساءل (مارتن) :

ـ « ماذا هناك ؟ »

هزّ (جالاجر) رأسه من جديد :

ـ « لابد أن المحركات اللعينة قد التصقت .. أو أن البطاريات لم تعد بها قوة كافية .. »

حاول يائسًا مرة ثالثة .. ورأى أن (مارتن) قد دنا من الباب ليفحص الأقفال عن كثب .. فقال :

ـ « احترس .. لا تدنُ من ... »

لكن الأوان قد فات ..

انفتح الباب ودخلت مئات الأطنان من الماء ..

تم كل شىء بسرعة حتى إن (جالاجر) لم ير ما حدث .. فقط عرف أن (والاس) قد تلقى الصدمة بقوة .. وقبل أن يتحرك صارت الغرفة جحيمًا من الماء الهادر .. كان يفكر فى الطوف الأصفر خلفه ..

تمزق القناع وأدرك أنه يستنشق ماء البحر المالح .. وفجأة امتلأ المخزن بالماء ، وبالتالى هدأ كل شىء ..

حبس أنفاسه وفتح عينيه ليحرقهما الماء المالح ..

وجد قناع الأكسجين الذى سقط منه تتصاعد منه الفقاقيع .. ثبته على وجهه وأخذ جرعات عزيزة من الهواء ، ثم سبح نحو (والاس) ..

كان رأس الأخير متدليًا وعيناه مفتوحتين لا تريان .. وعلى الضوء الخافت القادم من الخارج أدرك أنه لا يمكن عمل شىء .. وراح يسبح نحو باب المخزن ..

★ ★ ★

احتشد المسافرون قرب النوافذ يأملون فى ظهور الرجلين ..

سمعوا صوت هدير محركات الباب ، وضعف الضوء لحظة تلامس السلكين .. ثم تكررت المحاولات فتوتروا وقد أحسوا أن شيئًا ما ليس على ما يُرام ..

ثم سمعوا الباب ينفتح فجأة .. واهتزت الطائرة ..

ومن النوافذ رأوا الجزء التالى من الدراما .. فقاقيع تتصاعد .. ثم طوف النجاة .. وشهق الناس إذ رأوا (جالاجر) يرتفع ببطء ..

ثم رأوا جسد (والاس) يطفو فى الماء .. مرّ أمام النافذة مباشرة وقد بدا أثر الانضغاط على وجهه .. برزت عيناه واتخذ عنقه وضعًا غير طبيعى .. بالواقع



وعلى الضوء الخافت القادم من الخارج ، أدرك أنه لا يمكن عمل شىء .. وراح يسبح نحو باب المخزن ..

كاد تعرّفه يغدو مستحيلاً .. وأدركوا أن ميتته كانت أليمة شنيعة ..

كانت (كارين) تولول وقد فقدت التحكم فى نفسها .. حاول (باورز) أن يهدئها لكنها تراجعت عنه كالملسوعة ، مدت (إيف) يدها لها لكنها صرخت :

ـ « ابقوا بعيدًا عنى ! ابقوا بعيدًا ! »

ثم بدأت تستعيد روعها ، فراحت ترمقهم فى كراهيةً كأن ما حدثَ لزوجها حدث بسببهم ..

وابتعدت عنهم وجلست فى ركن الاستراحة ..

ساد الصمت المكان .. ربما كان (جالاجر) على السطح الآن .. لكن منظر جثةَ (والاس) هزّهم بعنف ، وأدركوا ألا ضمان للنجاة ..

★ ★ ★

وصل (جالاجر) لسطح الماء ، فشهق ملء رئتيه ..

كان الموج عاتيًا لذا بدا من العسير أن يصل للطوف الدائى ، الذى كان قريبًا لكنه يبتعد عنه باستمرار ..

جاهد حتى وصل إليه ، وصدره يؤلمه وعيناه تحرقانه ..

كان مرهقًا باردًا ، لذا رقد على ظهره ينظر للسماء ..

ثم استعاد قواه وبدأ تشغيل جهاز الإرسال .. ومسرورًا سمع صوت (بيب بيب) ينبعث منه .. حمدًا لله ..

كانت مفاصله تؤلمه ، وجلس فى الطوف ينظر حوله إلى المحيط الخاوى .. ليس فى جعبته سوى الانتظار والألم ..

★ ★ ★

بدأ رجل الاتصالات يشعر بدهشة ..

كان جالسًا فى مركز الاتصالات التاكتيكى لعدة ساعات ، يتفقد قنوات الإغاثة ، ولم يتوقع أن يسمع شيئًا بعد كل هذا الوقت ..

لذا شعر بدهشة حين سمع إشارة (ماى داى) تأتى من جهاز الراديو ، وصوت (بيب) يزداد قوة على تردد الطائرات ..

صاح فيمن حوله :

ـ « قد سمعت إشارة ! »

أحاطوا به ، وهرع (ستيفنز) مع الأدميرال (كوريجان) يصغيان .. وهنا دبَّ النشاط المفاجئ فى المكان ..

راح الرجال يحاولون تحديد مكان الإشارة ..

وعلى منضدة الخرائط عكفوا بمساطر الملاحة على تحديد البقعة ..

قال (كوريجان) لـ (ستيفنز) مذهولاً :

ـ « على بعد مائتى ميل من مكان بحثنا ! هذا لا يصدَق ! »

والآن ـ وقد عرف موقعًا ـ هو يعرف ما يجب عمله ..

أمر الكوماندور (ريد) بالتحرك .. ثم سأله عن السفن الموجودة هناك ، فقال هذا :

ـ « (جرين وتش) و(كايوجا) و(هاملتون) .. لكنها ليست فى العملية .. »

ـ « هى جزء من العملية الآن .. أطلب الأدميرال (جيمس) وحرس السواحل .. »

كان يشعر بالراحة لأن لديه أملاً ما ..

وراح (ستيفنز) يرقب فى رضا السرعة التى راحت تعمل بها وحدة إنقاذ البحرية ، ويصغى لاتصالات اللاسلكى :

ـ « بحث (٥) .. هنا قاعدة البحث .. لدينا طائرة ٢٧ شمالاً و٦٥ غربًا .. ابدأ التحرك .. »

ـ « هنا بحث (٥) .. بدأ التحرك .. (روجر) .. »

★ ★ ★

كان (بوتشك) لم يبدّل موضعه فى قاع الطائرة منذ خرج (جالاجر) .. وهو يدرك أن الماء يتعالى باستمرار ، والوضع يسوء ..

لم يكن بحاجة إلى أن يتفقد مواضع التسرب .. الأبواب كلها تسرّب الماء من الجوانب وأعلى الباب ..

سمع خطوات متجهة إلى الاستراحة ..

سأله القادم :

- « مستر (بوتشك) .. هل يوجد ما نقوم به ؟ »

- « ولا شىء .. لقد لعبنا آخر ورقة لدينا .. ولنأمل خيرًا .. »

وفى الاستراحة جلس المسافرون .. لقد مرت عشرون دقيقة منذ رحل (جالاجر) .. ولأول مرة بدأ شىء كالأمل ينساب فى النفوس ..

أما (كارين) فكانت وحيدة مكتئبة .. شعرت (إميلى) بتعاطف شديد نحوها ، فنهضت لتقول لها فى رفق :

- « مسز (والاس) .. لم لا تأتين لتجلسى معنا ؟ »

لم تجب (كارين) كأنها لم تسمع .. بل إن (إميلى) رأت شفتى المرأة تتحركان دون صوت .. نهضت بحركات غريبة كحركات الماشين أثناء النوم .. وتساءلت (إميلى) : إلى أين هى ذاهبة ؟

هنا فهمت (إميلى) فجأة إلى أين كانت (كارين) ذاهبة ، وماذا كانت تزمع عمله ..

صرخت فى هلع :

- « توقفى ! ماذا ستفعلين ! »

وثبت (إيف) لتلحق بالمرأة قبل أن تفتح الباب الذى يقود إلى مخزن البضائع .. جذبتها من ذراعها وصرخت :

- « ستقتليننا ! ابتعدى عن الباب »

- « اتركينى ! يجب أن أخرج ! »

وغرست أظفارها فى ذراع (إيف) .. مزقت وجهها .. ولم تجد (إيف) طريقة للسيطرة على هذه المرأة سوى حلّ واحد ..

كوّرت قبضتها وضربت (كارين) فى وجهها بأقوى ما استطاعت .. تهاوت المرأة على الأرض وتحسست شفتها السفلى .. كانت ممزقة تنزف دمًا ..

فجأة بدأت تبكى .. بكاء يجىء من أعماق روحها ..

- « لماذا فعلت هذا ؟ انظرى ما فعلت بى ؟ »

لم تردّ (إيف) .. احتضنتها دون كلمة ، شاعرة أن شيئًا ما ليس على ما يرام فى عقل هذه المرأة ..

★ ★ ★

أبطأ طيار النفاثة محرك طائرته ، وهو يرى الطوف الذى بدا كنقطة فى المحيط ..

دار حوله مرتين كى يتأكد أن الرجل الذى فى الطوف رآه .. لكن ما أثار دهشته هو أنه لم ير أى حطام فى هذه البقعة .. دار من جديد ، وارتفع أكثر ليرى المشهد بشكل أفضل .. هنا أصابه الذهول ..

تحت سطح الماء كان يرى الظلّ المميز للطائرة (٧٤٧) ..

ضغط على زرّ أمامه ليسقط صبغة ملونة فوق المنطقة .. ثم فتح جهاز المذياع ليبلغ المركز بما رآه ..

★ ★ ★

احتشد رجال البحرية حول (الراديو) بينما الطيار يعطيهم تقريرًا عن الموقف .. الطائرة مغمورة تمامًا .. رجل واحد فى طوف ..

قال (كوريجان) :

ـ « أريد حالة إنذار رقم واحد فى المنطقة .. أعدوا طاقم غطس وطائرات هليوكوبتر طراز SH - 3 أريد خراطيم هواء .. أدوية .. تعامل كأنها عملية انتشال غواصة غارقة .. »

وتحدث (كوريجان) إلى ضابط الاتصال :

ـ « صلنى بالقبطان على السفينة (كايوجا) .. »

ـ « آى آى يا سيدى .. »

قال (ستيفنز) :

ـ « هل هناك فرصة فى وجود أحياء ؟ »

قال (كوريجان) :

ـ « بالتأكيد .. لقد أنقذنا أشخاصًا من تحت الماء من قبل .. المهم هنا أن يكون جسم الطائرة سليمًا .. »

هنا جاء صوت كابتن (ماكنزى) قائد (كايوجا) :

ـ « سيدى .. نحن نتجه نحو الطوف .. بدأنا إعدادات الغطس ولسوف نصل الموقع خلال عشرين دقيقة .. »

ـ « استعدوا لاستقبال هليوكوبتر تقل مستر (ستيفنز) .. حظًا سعيدًا .. »

ثم استدار لـ (ستيفنز) القلق وابتسم :

ـ « سيكون كل شىء على ما يرام .. فاطمئن .. »

★ ★ ★

كانت لدى البحرية أكثر من أى سلاح آخر فى الجيش خبرة لا بأس بها فى عمليات الإنقاذ .. فقد تم تشكيل جناح الإنقاذ الخاص بها منذ الحرب العالمية الأولى ، وكانت هذه الخبرة تظهر فى وقت الطوارئ

التى يكون الفارق فيها بين الحياة والموت بضع دقائق ..

كان (بوتشك) ـ فى الطائرة ـ يعرف أن (جالاجر) لم يتأخر سوى ساعة .. لكن هذه الساعة بدت له كالأبد ..

كان الماء يتسابق عبر الدرجات نحو الاستراحة ، ويتعالى .. فعرف (بوتشك) أن عليه أن يرفع الجرحى لأعلى قليلاً .. إنها مسألة وقت ، والماء الآن على ارتفاع بضعة أقدام ..

حاول حساب الوقت الذى سيملأ الماء فيه الاستراحة الرئيسية .. ولكن ما الفارق ؟

اتجه إلى (دوروثى) الراقدة على الأرض ، وتعاون مع رجلين فى حملها إلى الأريكة ، وجوارها جلست (إميلى) تبلل جبينها بمنشفة ..

هنا تعالت همهمة بين المسافرين ..

وحتى (شامبرز) الذى جلس وحيدًا مكتئبًا بدأ يسمع الصوت .. صوت قارب يدنو .. صوتًا يتعالى وهذه المرة لم يتلاش ..

راحوا يهللون ويتصايحون ..

وابتسمت (إيف) لفكرة أن (جالاجر) سالم .. لقد فعلها .. فعلها (دون) ، ووجدونا ..

★ ★ ★

كانت السفينة (كايوجا) فى التدريب ، حين تم استدعاؤها للغوث فتحركت بسرعة نحو مصدر الإشارة ..

تم إعداد مضخات الهواء وأنابيب الأكسجين فى أثناء الرحلة .. وكان القبطان (ماكنزى) يعرف أن سفينته قادرة على أداء المهمة ، لأن عليها طاقمين من رجال الـ U.D.T .. وهى الحروف الأولى من عبارة (إخلاء السفن الغارقة) ، وكان هؤلاء يستعدون بأدواتهم فوق ظهر السفينة ..

كانت كفاءة هؤلاء القوم هى الضمان الوحيد لأداء مهمة هى ـ فى أبسط ظروفها ـ شديدة الخطر ..

وهنا دوّى صوت جهاز الاتصال ما بين السفن .. لقد ظهر الطوف .. ورفع (ماكنزى) منظاره المقرب ليرى (جالاجر) وسط المحيط ..

قال لضابط الاتصال :

ـ « حرّك الدفة خمسة وثمانين درجة .. استعدوا لانتشال الرجل .. »

★ ★ ★

بتوتر متزايد راح (جالاجر) يرقب السفينة تدنو .. وقبل أن تنزل الـ (كايوجا) مرساتها ؛ ظهر (زودياك) وهو قارب مطاطى بمحرك تم إنزاله فى الماء ، به رجال من طاقم الـ U.D.T ليشق الأمواج متجهًا إلى (جالاجر) .. وبسرعة شديدة انتشلوا الرجل ثم عادوا إلى (كايوجا) ..

قام طبيب بفحص (جالاجر) سريعًا ، وساعده على أن يلتف بالبطانيات ، ثم قدم له بعض القهوة الساخنة من (ترموس) .. رشف منها بعض رشفات .. ثم صاح :

ـ « أنا بخير .. إن الركاب هم من يحتاجون إلى عون وعلينا إخراجهم حالاً .. »

صعد بمعونة الرجال إلى ظهر الـ (كايوجا) .. وهرع ليلقى القبطان .. فهو يملك معلومات حيوية يجب أن يعرفها الرجل ..

دنا القبطان منه ، وصافحه ثم سأله :

ـ ما هو الموقف تحت ؟ »

ـ « أكثر المسافرين أحياء .. البعض جرحى .. جسم الطائرة قد بدأ يذعن للضغط ، ولا أعرف قدر الماء الذى دخل فى الساعة الماضية .. »

ـ « ومخزونهم من الهواء ؟ »

ـ « أوشك على الانتهاء .. هل يمكن البدء الآن ؟ »

أشار القبطان إلى طائرات الهليوكوبتر التى تحوم حول السفينة كحشرات عملاقة ، وقال :

ـ « لقد بدأنا بالفعل كما ترى .. »

ثم قال (ماكنزى) وهو يقتاد (جالاجر) إلى مؤخرة السفينة :

ـ « هلم معى .. »

وكانت الضوضاء تصمّ الآذان ، ورأى (جالاجر) أولى الطائرات تهبط فى رقعة صغيرة على ظهر السفينة .. ثم خرج منها رجال الـ U.D.T ومعهم أدواتهم ، ثم ارتفعت الطائرة .. وبعد ثوان هبطت الطائرة الثانية بنفس الكفاءة لتكرر الأمر ذاته .. وجاءت الطائرة الثالثة ليخرج منها رجال تبين فيهم (جالاجر) وجهًا مألوفًا ..

كان هذا هو (فيليب ستيفنز) ..

صافحه (جالاجر) وأخبره أن أكثر الضيوف أحياء .. وأن ابنته وحفيده آمنان ، وحكى له قصة خطف الطائرة كلها ..

أخبر القبطان الرجلين أن الإنقاذ سيبدأ حالاً ..

تقدم قائد العملية الملازم (لاوسون) رجل الضفادع البشرى ، ليعلن البدء .. فقال (ستيفنز) :

- « كابتن .. ماذا تنوون عمله بالضبط ؟ »

قال القبطان :

- « لو كان عدد الضحايا محدودًا لكان الأمر سهلاً .. نثقب جسم الطائرة ليدخل رجال الضفادع البشرية حاملين أسطوانات الاكسجين ، ونخرج الجرحى واحدًا فى كل مرة .. لكن العدد كبير هاهنا .. لذا نحن بحاجة إلى رفع الطائرة باستعمال حقائب قابلة للنفخ .. نفس الأسلوب الذى نستعمله فى انتشال السفن الغارقة .. »

قال (جالاجر) :

- « أنا ذاهب معهم ! »

سأله القبطان فى ريبة :

- « هل أنت غواص ؟ »

- « أنا هاو .. »

- « إذن لا سبيل إلى ذلك يا مستر (جالاجر) .. »

واستدار إلى (لاوسون) باعتبار الموضوع منتهيًا ، لكن (جالاجر) كان مصرًا ، فقد أنهكت الساعات الماضية أعصابه ، وغدا متوترًا سريع الشجار ..

- « يا كابتن .. إن رجالك لا يعرفون المواضع الخاطئة فى (٧٤٧) .. لكنى أعرفها .. ولو ربطت حقيبة إنقاذ فى موضع ضعيف لتهشمت الطائرة فورًا .. »

كان صوته يزداد ارتفاعًا فى أثناء الكلام ، وراح أفراد الطاقم ينظرون إليه بعيون غير مصدقة .. فلا أحد يصرخ فى القبطان على السفينة فى البحرية .. لكن (ماكنزى) ظل يصغى ببرود ..

قال (جالاجر) :

- « لقد عانى هؤلاء القوم كثيرًا .. ولا يمكن المجازفة بإضاعة آخر فرصة لهم .. إنكم بحاجة إلىَ هناك .. »

كان البحارة يعرفون أن (ماكنزى) عصبى جدًا ، وسوف ينفجر فى أية لحظة .. لكنه - لدهشتهم - أصغى باهتمام ، ثم ابتسم وقال :

- « إننى أحترم إصرارك يا كابتن .. ولو لم تكن طيارًا لصرت ضابط بحرية لا بأس به .. خذه يا (لاوسون) وزوده بثياب (غوص) .. »

★ ★ ★

بدأ الماء يتدفق على درجات السلم ..

صار الآن عند الركبتين .. وأدرك (بوتشك) أن

إبقاء المصابين خارج الماء سيكون مستحيلاً بعد قليل ..

أشار إلى (سانت داون) كى يتبعه إلى مؤخرة الاستراحة ، وتناول بعض سترات الهواء ، وراح يوزعها على الموجودين .. كانوا يرتجفون بردًا ورعبًا لكنهم راحوا يضعونها حول المصابين ..

ـ « حين يرتفع الماء سيبقى هذا رءوسهم فوقه .. »

وبرغم أن النجدة دانية ؛ ساد جو من الاكتئاب .. فلا أحد يعرف كيف سيتم إنقاذهم .. ستكون دعابة أخيرة سخيفة أن يموتوا بينما النجدة على بعد أمتار ..

قال (بوتشك) :

ـ « اسمعوا .. على الجميع ارتداء سترات النجاة الآن .. »

كان هذا كفيلاً بأن يشغلهم بعض الوقت .. وسرّهم هذا ..

★ ★ ★

تحرك فريق الغطس فى قوارب الـ (زودياك) السريعة .. وكانت سرعة القارب تجعلهم يثبون فوق الموج وثبًا فى أثناء تقدمهم ..

وكان (جالاجر) و(لاوسون) فى القارب الأول ..

رسم (جالاجر) على ورقة كروكيًا للـ (٧٤٧)

وحدد عليها أسوأ الأماكن المحتملة .. فسأله (لاوسون) :

ـ « هل ترى أن نثقب جسم الطائرة وندخل أنبوب هواء للقوم ؟ »

ـ « خطر جدًا .. لو بدأت قطع هذا الألومنيوم ؛ فلا يدرى سوى الله وحده ما قد يحدث .. »

ثم إن (لاوسون) تناول لوحًا من الإردواز يتصل به خيط مربوط حول قلم شمعى ، وقال :

ـ « سنكتب لهم الرسائل هكذا .. ما هو مدى تنسيقهم ؟ ما فرصة الهلع ؟ »

فكر فى (بوتشك) و(إيف) اللذين يؤمن بهما تمامًا ، وقال :

ـ « لا تقلق من هذا أبدًا .. »

ونظر إلى المحيط الثائر ، وإلى (كايوجا) .. ورأى قوارب الـ L.C.V.P وهى اختصار عبارة (نقل طاقم الطائرات الغارقة) يتم إنزالها .. وهى قوارب معدنية قادرة على حمل اثنى عشر رجلا أو أطنان من المعدات ..

قال (لاوسون) لرجاله إذ توقف القارب :

ـ « يا سادة .. إن لديكم تعليماتكم .. نفذوها .. »

ثم وضع قناعه وكذا فعل (جالاجر) .. ووثب الرجلان إلى الأمواج ..

شعر (جالاجر) بصدمة الماء البارد .. ثم شعر بأن طبقة رقيقة من الماء تسربت ما بين جسده وبذلة الغطس ؛ عزلت جسده عن برد المحيط .. تنفس براحة ، وراح يسبح خلف (لاوسون) فى المياه الخضراء ..

أخيرًا يرى الطائرة الضخمة تستريح على قاع المحيط ..

بدت نوافذها المضاءة كصف من عيون صفراء يظهر الركاب من خلفها .. وشعر بأنه يرى وحشًا مما قبل التاريخ أكثر منه أداة من الألومنيوم صنعها الإنسان ..

اتجه بعض الرجال إلى المقدمة ، وبعضهم إلى المؤخرة ، وبعضهم راح يفحص الجناحين ..

وفى الاستراحة ساد السرور العام .. فقد رأوا الغواصين يحيطون بالطائرة وهو أول دليل على دنو النجدة .. النجدة التى لم تأت أسرع من اللازم بالتأكيد .. هذا ما فكر فيه (بوتشك) فى مرارة ..

لقد تضاعف الماء ثلاث مرات ، وصار عند خصر

الواقف ، وأدرك (بوتشك) أن المكان سيمتلئ خلال ساعة ..

مرتجفًا من البرد ؛ نفخ سترة النجاة حول صدر (دوروثى) .. لم يعد ثمة موضع جاف يمكن إبقاؤها فيه ، لكن السترة - على الأقل - ستبقى رأسها فوق الماء ..

تحرك إلى النافذة ، فرأى أحد الغواصين يحمل قطعة من الأردواز ، كتب عليها بقلم شمعى : سنرفع الطائرة .. سننقذ الجميع ..

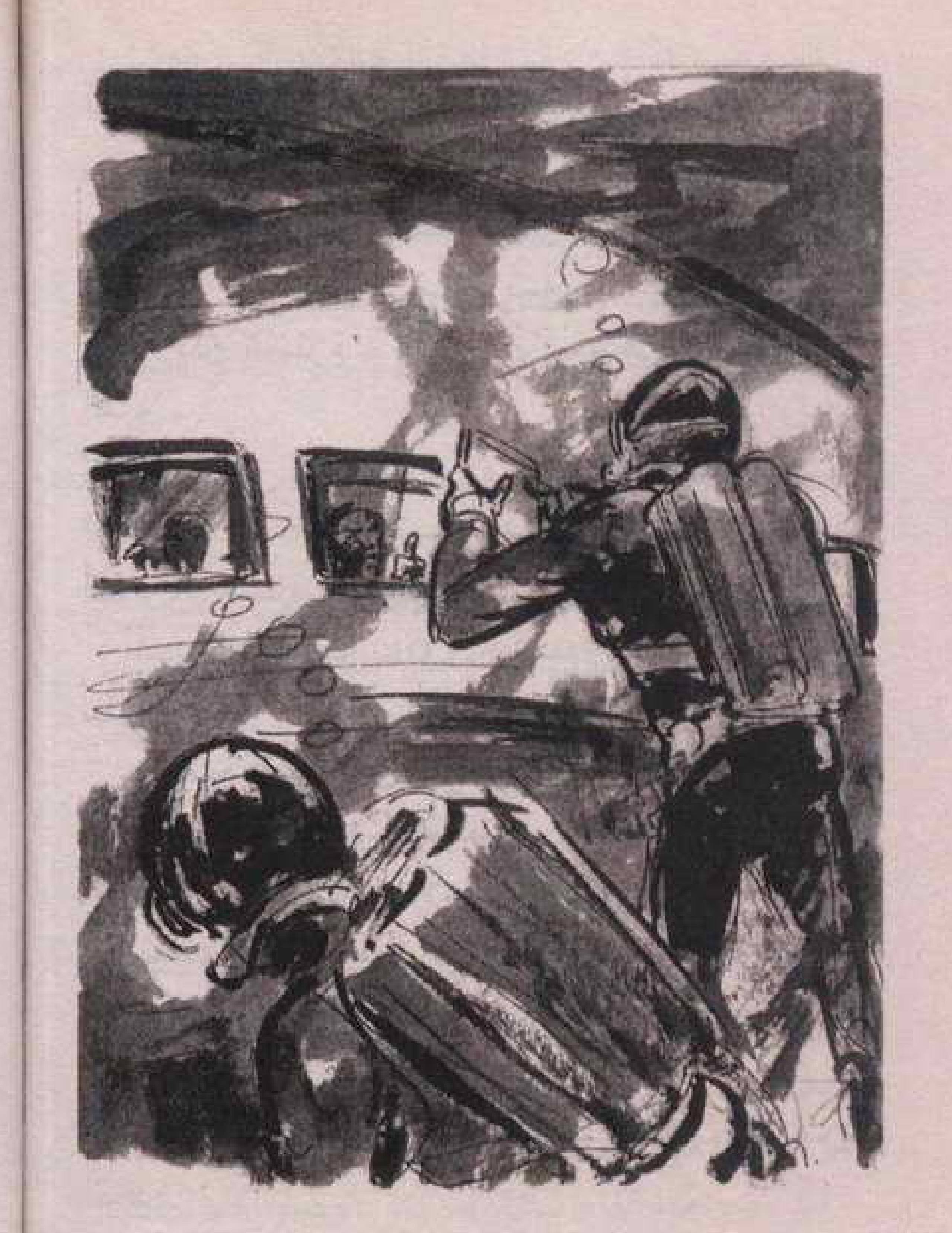
أشار له بعلامة OK .. واستدار إلى المسافرين ليقول :

- « إنهم سيحاولون رفع الطائرة .. لو نجحوا سيبدو لنا وكأن إعصارًا عاتيًا صدمنا .. فلنحاول التشبث قدر الإمكان .. استعملوا الأحزمة ومزقوا الملاءات ليستعملها من لا يملك حزامًا .. تأكدوا من ربط الجرحى إلى (درابزين) السلم .. »

★ ★ ★

استطاع (جالاجر) أن يرى (إيف كلايتون) من النافذة ..

كانت مذعورة كباقى الركاب لكنها سليمة آمنة ..



تحرك إلى النافذة ، فرأى أحد الغواصين يحمل قطعة من الأردواز ، كتب عليها بقلم شمعى ! سنرفع الطائرة ..

كان الماء يعلو بسرعة أفزعت (جالاجر) .. وراح يتمنى أن يكفى الوقت لعمل اللازم ..

أشار له (لاوسون) .. ثم أشار لباب الشحن بالطائرة ..

سبح الرجلان إلى هناك وفتحا الباب ..

أمامهما كان المعدن الممزق لجسم الطائرة .. الثقب الذى أحدثته حاوية البضائع فى أثناء الاصطدام ، ولربما لو لم يحدث هذا لاحتفظت الطائرة بقدرتها على الطفو فترة كافية .. لكن الثقب كان كبيرًا بالفعل ..

وعبر الفتحة ـ وعلى ضوء كشاف (لاوسون) ـ دخل الرجلان إلى قسم البضاعة .. كان الحطام فى كل مكان .. وراح الضوء يلتمع على اللوحات التى تلِفت ، والتماثيل التى تهشّمت .. ثم سقط على شىء جعل رجل الضفادع البشرية يرتجف فرقًا ..

كان وجهًا مخيفًا منتفخًا بفعل ساعات طويلة تحت الماء .. كان هذا هو (بانكر) .. وقد دفن جسده تحت حاويات البضاعة ..

أشار (لاوسون) إلى رجاله كى يحكموا غلق الباب الداخلى .. فلو انفتح لغرقت الطائرة فورًا ..

ثم غادر الرجال الطائرة ليبدءوا أهم وأطول جزء من العملية ..

سيتم رفع الطائرة بوساطة أكياس .. وهى أحدث ما وصل إليه فن الإنقاذ البحرى .. حقائب عملاقة من المطاط يتم تثبيتها إلى جسد الطائرة ونفخها بالهواء ، من ثم تستطيع رفع السفن الغارقة ـ التى هى أثقل بكثير من الـ (٧٤٧) ـ بسهولة تامة ..

المشكلة هى أن الحقائب أقوى من اللازم ؛ لذا قد تهشم جزءًا واهنًا من جسد الطائرة ..

كان عليهم أن يتفقدوا الجسد ، وينتقوا ـ بناءً على توجيهات (جالاجر) ـ خير الأماكن التى تتحمل قوة الرفع ..

انتقى (جالاجر) نقطتين قرب ذيل الطائرة .. ثم وجد نقطتين عند اتصال الذيل بجسم الطائرة ..

وفى كل بقعة يتم اختيارها كان رجال الضفادع البشرية يرسمون بالشمع علامة كبيرة ..

واستمر العمل ببطء مستفز ، برغم أن صورة الوجوه المتوسلة فى الاستراحة لم تبرح خيال (جالاجر) ..

انتهى العمل على كل حال .. استغرق دهرًا لكنه انتهى ..

وأشار (لاوسون) لأعلى فبدءوا يصعدون ..

★ ★ ★

بينما كان فريق الـ U.D.T تحت الماء ينتقى أماكن تثبيت الحقائب ؛ كان نشاط عظيم يجرى فوق سطح الماء ..

كان هناك خرطوم هواء عملاق يتصل بمضخة فى غرفة آلات الـ(كايوجا) ، يتدلى إلى البحر .. وراحت القوارب تجره إلى الماء وتضيف إليه أجزاء تزيده طولاً وهى تبتعد ..

فى النهاية تم ربطه بلوحة توزيع هواء على ظهر الـ(زودياك) ، وهذه اللوحة يتفرع منها عدد من الخراطيم الصغيرة سيمدها الغواصون إلى الطائرة (٧٤٧) ..

ثم وصلت حقائب الرفع المطوية والتى صنعت من المطاط البرتقالى ؛ وكان لكل حقيبة فوهة تصلح لتوصيل خرطوم هوائى .. وحين تنتفخ الحقيبة يغدو نصف قطرها عشرة أقدام ، وبوسعها رفع أطنان من الوزن ..

راح كل واحد من رجال الغطس يتجه إلى قارب من القوارب .. كان هناك رجلان لحمل كل حقيبة ، وغاص الرجال تحت الماء ..

نزل كل فريق فى صراع محموم مع الزمن ، لإنهاء العمل قبل فوات الأوان ..

★ ★ ★

كان (جالاجر) منبهرًا بروح الفريق لدى الرجال ..

كانت هناك الآن ثلاث فرق ..

الفريق الذى يعمل به (جالاجر) مسئول عن تثبيت الحقائب .. سبحوا إلى موضع الجناحين ، ثم أخرج أحد الرجال مسدس ضغط هواء من جيبه ، وصوّبه نحو مركز علامة (X) السابقة ، ثم أطلق طلقة ليثبت مسمارًا فى جسم الطائرة ..

ثم تراجع اثنى عشر قدمًا وأطلق طلقة أخرى ..

ثم تراجع الفريق بحثًا عن نقطة أخرى ، وفى اللحظة ذاتها وصل الفريق الثانى ليثبت الحقائب الصفراء الرخوة بأسلاك قوية فى المسامير ثم انتقلوا إلى بقعة أخرى .. •

هنا ظهر الفريق الثالث ، يحمل رجاله خراطيم الهواء القوية الشبيهة بالأفاعى المتصلة بلوحة توزيع الهواء على السطح ..

وقاموا بتثبيتها بالحقائب باستعمال مفتاح إنجليزى ..

وتأكدوا من إحكام التوصيلات ، ثم انتقلوا إلى نقطة أخرى مرّ عليها الفريق الأول والثانى ..

★ ★ ★

حين عاد (جالاجر) إلى الـ (زودياك) كان مرهقًا بحق ..

ثم ظهر (لاوسون) بدوره ، الذى جلس فى القارب وضغط على زرّ جهاز الـ(ووكى توكى) :

- « كابتن (ماكنزى) .. هنا (لاوسون) .. »
- « كيف الحال ؟ »
- « الطائرة تسرّب الماء كمنخل .. لا يجب الانتظار أكثر .. »
- « وكيف توزيع الوزن ؟ »
- « إن ذيل الطائرة ثقيل ، ولسوف يرتفع فى زاوية حادة .. »
- « هل هناك وقت لزيادة حقائب الذيل ؟ »
- « لا يا سيدى .. لا داعى للمجازفة .. »
- « إذن .. فلتتراجع القوارب .. سنبدأ تشغيل المضخات .. »

★ ★ ★

بدأت المحركات تهدر ، ورأى (جالاجر) أفراد فريق الغطس يصعدون إلى السطح واحدًا بعد الآخر ويركبون الـ (زودياك) ..

ثم راحت القوارب تتراجع نحو (كايوجا) ..

★ ★ ★

قام (بوتشك) بربط شريحة ملاءة ممزقة حول معصم (إيدى) ..

الآن لم يعد مكان مأمون سوى (درابزين) السلم ..

- « هذا ضيق جدًا يا مستر (بوتشك) .. »

- « معذرة يا (إيدى) .. لكن يجب أن يكون كذلك .. »

وساعد الأمين على احتضان طفليهما ..

ربط (كارين والاس) إلى منضدة عالية ، ثم صعد بضع درجات وربط نفسه ، وراح ينتظر الأسوأ ..

★ ★ ★

وقف كابتن (ماكنزى) والضباط على ظهر (كايوجا) ..

تأكد (ماكنزى) من ابتعاد القوارب جميعًا ، ثم قال لملازم بجواره :

- « شغل المضخات .. »

أصدر الملازم تعليماته عبر اللاسلكى ، وبدأ هدير المضخات ..

الخرطوم الرئيسى ينتفخ ويتصلب بضغط الهواء فيه .. ومن لوحة التوزيع راح الهواء يسرى فى الخراطيم الفرعية ، فتتلوى كالأفاعى ..

فى النهاية امتلأت أكياس الرفع ..

لو تمَّ كل شىء على ما يُرام سترتفع الطائرة فورًا ..

★ ★ ★

كانت هناك أربعة أكياس متمسكةَ بالأجنحة واثنان عند الذيل .. ستكون قوة الرفع هائلة ..

تمدد كل كيس ليتحول إلى بالون عملاق نصف قطره عشرة أقدام .. وبدأت البالونات تجذب المسامير ..

بدأ المعدن فى جسم الطائرة يحتجَ .. ومع كل جذبة لأعلى كان صوت تصادم يدوِى فى الماء ، وبدأت الطائرة تغير وضعها ..

المعدن يئن كأنما شىء حى يتم تمزيقه ..

وبدأت الرمال والأعشاب البحرية تتصاعد لأعلى ، فقد كانت الطائرة مثبتة إلى القاع بقوة امتصاص مريعة ..

★ ★ ★

وعلى الـ(أيوجا) كان توتر القوم لا يوصف ..

كلهم ينظرون ويأملون .. ورأى القبطان (ماكنزى) الماء يغلى من أثر الهواء المتصاعد من صمامات البالونات ، وحين رأى وسط فقاقيع الهواء الرمال والأعشاب عرف أن الطائرة ترتفع ..

كان يعرف أن الطائرة سترتفع بمقدمتها أولاً .. وستصعد لأعلى مثل الرصاصة .. سيكون هذا جحيمًا حين تخرج الطائرة للسطح ..

* * *

فى الاستراحة كان الاهتزاز لا يوصف ، وصوت أنين المعدن مرعبًا حتى توقع الجميع تهشم الطائرة ..

وتمنى (بوتشك) لو كان له ذراعان كى يعين (إيف كلايتون) على التشبث .. وكانت تجد صعوبة فى التماسك ، وراحت تتمايل من جانب لآخر ، وانطلق رشاش ماء مالح فى وجه (بونى) الصغيرة فسعلت ..

صارت زاوية الأرض حادة تحت أقدامهم ، وازداد الماء عمقًا إذ راح يتدفق من مقدمة الطائرة إلى مؤخرتها ..

وأدرك أن الطائرة ترتفع الآن ..

دوت صرخات فزع بينما أطنان المياه تأتى من مقدمة الطائرة إليهم .. لكن كل المسافرين كانوا متمسكين جيدًا ، واهتزت الطائرة بعنف ، بينما بدت أرضيتها كأنما هى مغطاة بالشحم .. كل ما لم يثبت عليها طار كالقذيفة إلى المؤخرة ..

صرخ (إيدى) وقد انهرست قدمه المصابة ..

ورأى (بوتشك) مقعدًا يطير ليضرب د.(وليامز) بين لوحى كتفه ، ثم أوشك أن يضرب (إيف) و(بنجى) ، وفى النهاية حلق ليختفى فى مؤخرة الطائرة ..

ما لم يصلوا لسطح الماء سريعًا فسيلحق الكثيرون بهذا المقعد ..

* * *

راح (جالاجر) و(لاوسون) يرقبان هياج المحيط متذمرًا من قدوم الطائرة .. مساحة خمسين ياردة مربعة عبارة عن غليان مخيف .. بينما قوارب الـ(زودياك) تحيط بالرقعة ..

ورجال الضفادع البشرية يرقبون أخطر أجزاء العملية ..

عليهم أن ينقذوا الركاب بأسرع ما يمكن ..

- « سيكون الوضع غير مستقر تماماً .. ولو هبطت هذه الطائرة للقاع ثانية فستأخذ معها كل شىء قريب ! »

قالها (لاوسون) وهو يرمق المشهد بمنظاره المقرب ..

★ ★ ★

كان المسافرون يحاولون التماسك ..

كان الماء يحاول انتزاعهم من أماكنهم .. وشعرت (ليزا) أن (بنجى) ينسحب من ذراعها .. حاولت التماسك لكنه راح ينسلّ منها ..

وفى النهاية اندفع نحو الجزء الأوسط من الطائرة حيث تيار الماء الأعنف ..

رأت (كارين والاس) على المنضدة فى الجانب الآخر من الممر ، وأدركت أن (كارين) يمكنها أن تقبض على ذراع الطفل .. فصرخت :

- « بحق السماء ساعدينى ! »

غير مصدقة وجدت (كارين) تشيح بنظرها عن المشهد ، وتشبثت بمكانها بقوة أكثر !

اندفع (بوتشك) ، وبيد واحدة سليمة مدّ يده إلى الطفل ، وصرخ فى (باورز) :

- « امسك حزامى ! »

هزّ (باورز) رأسه ، وأمسك بحزام (بوتشك) بقوة ليتحمل وزنه بالكامل ، ومدّ (بوتشك) جذعه حتى وجد ياقة قميص الصبى فجذبه منها ، وشدّ الصبى نحوه .. وفى النهاية استطاع (بنجى) أن يحيط بعنق (بوتشك) ..

استطاع (باورز) أن يجذب (بوتشك) إليه أخيراً ..

وهنا دارت الطائرة لناحية أخرى ..

شعرت (كارين) أنها تنزلق .. صرخت فى ذعر .. ونظر المسافرون لها عاجزين عن العون بينما الماء يحملها ..

استمرت صرخاتها من مؤخرة الطائرة ، ثم توقفت حين اصطدم رأسها بقطعة من الحطام ..

★ ★ ★

ازداد الغليان على سطح الماء ، بينما الـ (٧٤٧) تصعد إلى ضوء النهار .. وظهرت البالونات ثم أنف الطائرة الألومنيوم ..

أخيراً ظهر الجسم وأطنان من الماء تنهال منه ، كأنما هى حوت عملاق يخرج رأسه من المحيط ..



أخيرًا ظهر الجسم وأطنان من الماء تنهال منه ، كأنما هى حوت عملاق يخرج رأسه من المحيط ..

راحت قوارب (الزودياك) تتأرجح بفعل الأمواج العاتية ، ورأوا باب طوارئ فوق الجناح ..

يجب الإسراع .. فالطائرة غير مستقرة ؛ ومن الممكن أن تعود للقاع فى أية لحظة ..

★ ★ ★

تسرب ضوء الشمس من النوافذ ، وكان ساطعًا إلى حدّ أنه آذى عيون الركاب بعد ثمان ساعات من الضوء المعتم ..

دوت صرخات الفرح ، وتعالى البكاء ..

استدار (بوتشك) صائحًا :

ـ « أسرعوا فالوقت ضيق .. لنقرب الجرحى من باب الطوارئ .. هم أولاً ثم نحن .. »

كان رأس (دوروثى) على صدر صديقتها (إميلى) ..

قالت لها (إميلى) فى رفق :

ـ « نحن آمنتان يا عزيزتى .. سنكون بخير .. »

لم ترد (دوروثى) وسقط رأسها جانبًا .. وأغلقت عينيها .. لقد ماتت صديقة (إميلى) الصدوق ، فتعالى أنين (إميلى) وبكاؤها ..

ربّت (نيكولاس) على كتفها ، فقالت وهى تحتضنها :

- « إننى لن أتركها هنا .. »
- « لا وقت لهذا .. »

وكان كلامه حقيقيًا ..

وفى هذا الآن كـان (توتشك) و(إيف) يشرفان على الإخلاء .. ومدّ يده إلى مقبض باب الطوارئ فانفتح إلى الداخل قليلاً ثم إلى الخارج .. ومن الباب دخل الهواء الطازج البارد ، ليطرد الهواء المليء بالفزع بالداخل ..

كانت رائحته شهية حقًا ..

تسلق رجال الضفادع البشرية أجنحة الطائرة ، واستعدوا ..

★ ★ ★

راقب كابتن (ماكنزى) و(ستيفنز) عملية الإنقاذ ..

وكان حجم قوارب الـ(زودياك) مدهشًا فى ضآلته بالنسبة للطائرة .. واستطاع (ستيفنز) أن يرى رجال الضفادع البشرية يخرجون (إيدى) من الباب يعاونهم (باورز) ..

ثم رأى مسز (ستيرن) وابنتها (بونى) .. ثم (إميلى) ..

وبدأ الضيوف غير الجرحى يخرجون بدورهم ..

وكان رجال الضفادع البشرية يعينون الركاب على الانزلاق فوق الجناح إلى الماء ، ثم يحملونهم إلى قوارب الـ (زودياك) ، فإذا امتلأ القارب شق طريقه إلى (كايوجا) ليفرغ حمولته ، ثم يعود ليحمل المزيد ..

رأى أخيرًا ما كان يبحث عنه .. ابنته (ليزا) و(بنجى) .. سالمين ..

ظل يراقبهما حتى ركبا (الزودياك) .. إنهما قادمان ليكونا معه ..

ترقرق الدمع فى عينيه .. وأدرك أنه يجرب لأول مرة دموع الفرح ..

أما كابتن (ماكنزى) فكان أكثر قدرة على مراقبة التفاصيل ، وقد سره ما رأى من (لاوسون) .. لقد أدى عملاً طيبًا حقًا ..

لقد تم إخلاء الطائرة بدقة الساعة .. ولم يستغرق كل هذا أكثر من عشر دقائق ..

لكنه لم يحب كثيرًا ما رآه فى مؤخرة الطائرة ..

كانت إحدى حقائب الرفع تحتك بمعدن الذيل الممزق ! إن المطاط صلب لكن الحافة حادة والاحتكاك قوى ..

لن يتحمل البالون كثيرًا .. سينفجر ..

وعندها تهوى الطائرة إلى القاع كحجر ..

★ ★ ★

شعر (جالاجر) بإرهاق ، لكنه ظل يعين المسافرين قرب باب الطوارئ .. وفى النهاية لم يبق سوى (إيف) و(بوتشك) ..

تحرك نحوهما حين حدث هذا ..

تمزقت حقيبة الحمل فى مؤخرة الطائرة ، ودوى صفير خروج الهواء ، ومالت الطائرة على جنبها ..

سقط (جالاجر) و(بوتشك) فى الماء ، ورأى (إيف) تسقط للوراء داخل الطائرة .. سريعًا أخرج نفسه من الماء ، وتسلق جسم الطائرة ، وجرى عبر الجناح ، وبلا تردد قذف بنفسه من باب الطوارئ ..

دخل إلى الاستراحة فوجد (إيف) على الأرض ..

ساعدها على النهوض ، وقال لها :

- « هلمى نسرع ! »

شهقت وهى تنظر إلى باب الطوارئ ، فالطائرة مالت بحيث صار الباب لأعلى والماء يدفق منه ..

يجب العثور على مخرج .. والطائرة تزداد هبوطًا ..

- « قمرة القيادة ! هلمى ! »

أخذ بيدها وشرعا يركضان نحو القمرة .. قاوما

الموج واندفاع المياه التى تدفعهما دفعًا .. ارتقيا الدرجات لأعلى حتى القمرة .. زحفا على ركبتيهما بداخلها ، وكان أنف الطائرة يشير إلى السماء ..

بقنوط فتح باب الطوارئ ، وحملها ليلقيها منه إلقاءً فى الماء .. ثم وثب خلفها ..

كان الماء يغلى حين راحا يبتعدان عن الطائرة ، شاعرين بالجذب السفلى الناجم عن هبوطها لأسفل ..

هنا دنت إحدى طائرات SH - 3 منهما .. وأنزلت سلمًا من الحبال ، فتعلق به (جالاجر) بذراع ، وبالذراع الأخرى أمسك ذراع (إيف) ثم راحت الطائرة ترفع الحبل ..

وفى الوقت ذاته غاصت الـ(٧٤٧) وسط دوامة من الماء الثائر واستطاع طاقم الهليوكوبتر أن يدخلوا (جالاجر) و(إيف) إلى داخلها ..

★ ★ ★

كان (ماكنزى) و(ستيفنز) يتابعان محبوسى الأنفاس هذا المشهد .. وأسعدهما أن يريا (جالاجر) و(إيف) يرتفعان للسماء ..

ورأى (ستيفنز) آخر قوارب الـ(زودياك) تلحق

بسفينة (كايوجا) .. والركاب يرتجفون إرهاقًا وبردًا .. لكنهم أحياء ..

قال للكابتن :

ـ « أبدًا لن أعرف كيف أوفيك حقك .. »

وصافحه فى حرارة .. ثم ناول المنظار لأحد البحارة ..

كان ظهر السفينة دوامة من الفوضى .. أطباء .. رجال ضفادع بشرية .. أصدقائه ..

هرع يلحق بهم وبابنته وحفيده ..

وجد (ليزا) و(بنجى) أخيرًا فركض نحو ذراعيها المفتوحتين :

ـ « آه يا أبى ! أنا أحبك ! »

كان يدفع ثروته كلها لسماع هذه الكلمات .. احتضنها واحتضن حفيده فى شوق .. فهما أهم شىء فى عالمه ..

هتفت (جولى) حين رأته :

ـ « مستر (ستيفنز) .. أين (إيف) ؟ »

ـ « هى على ما يرام يا (جولى) .. لقد تم إنقاذها .. »

ـ « وكابتن (جالاجر) ؟ »

ـ « بخير أيضًا .. »

ورأى (باورز) فسأله :

ـ « أين (مارتن) ؟ »

هنا رأى الإجابة على وجهه ..

ـ « لقد مات وهو يحاول إنقاذنا .. »

ـ « و(كارين) ؟ »

ـ « هى أيضًا .. أنا آسف .. »

هزّ رأسه وابتعد مهمومًا ..

ثم رأى (شامبرز) مساعد الطيار مكبلاً بالأصفاد ، يقوده بحّاران إلى الحجز .. إن القانون سيعرف كيف ينتقم من هذا المجرم ..

وكان (بوتشك) يرمق المحيط مهمومًا ..

لقد بدأ مشروع الطائرة خطوة فخطوة .. وهوذا يرى نهايتها .. استدار (بوتشك) وابتسم له .. ثم عاد يرمق السحب فوق المحيط منذرةً بعاصفة وقال فى شرود :

ـ « إننى أفكر فى كل من لم ينجوا .. »

ـ « قد بذلت ما بوسعك .. ما كان بالإمكان إنقاذ من مات .. »

ـ « ربما كنت على حق .. هل تعرف يا (فيليب) ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « أعتقد أن أفضل شىء فى الكون أن تكون حيًا .. »

ابتسم (فيليب) موافقًا .. وراح يرمق البحر ..

فهو أكثر من سواه كان يعرف صدق هذه العبارة ..

★ ★ ★

جلب طاقم الهليوكوبتر بطانية كبيرة لـ (جالاجر) و (إيف) ، حيث جلسا على أرض الطائرة ، في طريقهما إلى (كايوجا) ..

سألها في حنو :

- « هل تشعرين بالبرد ؟ »

- « لم أعد أشعر به .. »

ابتسم وسألها :

- « كنا سنقضى أمسيتنا فى (بالم بيتش) .. هل نسيت ؟ »

- « وماذا عن باقى حياتنا ؟ هل سنقضيها معًا حقًّا ؟ » .

فكر لثانية ثم قال :

- « أقنعينى بهذا ! »

وابتسما وهما يصغيان إلى هدير محركات الطائرة .

مايكل شف وديفيد سبكتور

١٩٧٧

(تمت بحمد الله)

★ ★ ★

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

مطار ٧٧

27

الطائرة (٧٤٧) تفقد مسارها .. تسقط فى المحيط لتستقر على القاع، حيث يستحيل الوصول إليها .. الركاب أحياء ينتظرون النجدة .. لكن كيف تجدهم ؟ ثم يتزايد الضغط أكثر فأكثر .. الغوث بعيد .. والموت دان .. وكل صفحة تحمل تهديدًا أكثر شناعة مما سبق ..

الثمن فى مصر ١٥٠ قرشًا
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
النطاق المسموم

